جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

من بلاغة
الدعاء في القرآن الكريم

الدكتورة
فاطمة محمد النجار
قسم البلاغة والنقد ــ كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر – فرع البنات بالقاهرة

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء السادس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله مجيب الدعاء القائل في كتابه الكريم ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠] .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.. وبعد.

فالدعاء في الإسلام هو: عبادة تقوم على سؤال العبد ربه، والطلب منه، وهي عبادة من أفضل العبادات التي يحبها الله خالصة له، فالدعاء من أعظم وسائل الصلة الإيمانية التي تحقق للمؤمن استعانته بربه، وتيسر له قربه منه، وتعرضه لرحمته، وتجعله في موضع محبته، ومن خلاله يجسد المؤمن العبودية والخضوع، ويستشعر الخشية والخشوع ويستمد من الله القوة لضعفه، والغنى لفقره، والقدرة لعجزه، فالدعاء شأنه عظيم، وأثره كبير، ومعانيه ودلالته واسعة، ومن هنا ندرك عظمة وبلاغة قول الرسول ﷺ «الدعاء هو العبادة».

وهذا بحث أقدمه في بلاغة الدعاء في القرآن الكريم، دفعني إليه ما كتبه الشيخ الشعراوي في كتابه "تفسير الشعراوي" عند تحليله لقوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣]، قال: إن الدعاء بالفطرة يتجه إلى الله، والدعاء هو: طلب الشيء، والطلب يقتضي طالبا، ومطلوبا، ومطلوبا منه، والطالب هو من يدعو، والمطلوب منه هو من تدعوه وتسأله، والمطلوب هو: الشيء الذي نتضرع بالدعاء رجاء أن يحدث، والطلب لون من الأمر، لكن إذا ما جاء الطلب من الأدنى إلى الأعلى فلا نقل إنه أمر بل هو دعاء، وفي اللغة عندما نسأل الطالب أن يقوم

بإعراب (رب اغفر لي) تجد الذي استذكر دروسه دون تفقه يقول: (اغفر: فعل أمر)، أما الطالب المتفقه في فهم دينه مع إجادة لدراسته فيقول بأدب الإيمان: (اغفر: فعل دعاء)، لأن الطلب إن صدر من الأدنى إلى الأعلى فهو دعاء وإن صدر من المساوي للمساوي فهو التماس، وإن صدر من الأعلى إلى الأدنى فهو أمر.

وبالرغم من أن الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية ويأتي بغرض الدعاء إلا أنني رأيت أن أقوم بدراسة الدعاء دراسة بلاغية للوقوف على أسراره في القرآن الكريم.

وقمت بتقسيم الآيات القرآنية على حسب موضوعاتها، دون التعرض لأدعية الأنبياء في القرآن الكريم، فقد رأيت أن أخصها ببحث مستقل نظرا لأهميتها وخصوصيتها.

واعتمدت في البحث على المنهج التحليلي للآيات للكشف عن أسرارها البلاغية.

والبحث يشمل **مقدمة وتمهيداً** ، **وفصلين**:

الفصل الأول : فضل الدعاء.

الفصل الثاني : المأثور من الدعاء.

والخاتمة.

وفهرس المصادر والمراجع.

وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين ،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

التمهيد

الدعاء هو : الإنابة والابتهال إلى الله تبارك وتعالى، والقيام بغاية الخضوع والخشوع والتذلل بين يديه عز وجل، وإنزال حاجات الدنيا والآخرة به سبحانه على أنه تبارك وتعالى المالك الحقيقي لأمور الدنيا والآخرة، والمتصرف فيها كما يشاء لا شريك له وهو الواحد القهار.

والدعاء هو: أن يقول العبد موقنا بعبوديته لله صادقا في توجهه إلى الله يارب يارب، فيجيب الله عبده: لبيك عبدي لبيك، إن أول ما يتطلبه الإسلام من المسلم أن يكون مؤمنا بالله حق الإيمان، وثيق الصلة به، دائم الذكر له، والدعاء والتقرب إليه، والتوكل عليه، يستمد منه العون مع الأخذ بالأسباب، ويحسّ في أعماقه أنه بحاجة دوما إلى قوة الله وعونه وتأييده، مهما بذل من جهد، ومهما اتخذ من أسباب.

والمسلم الحق الصادق يقظ القلب، متنبِّه إلى بديع صنيع الله في الكون، موقن أن يده الخفية العليا هي التي تسيِّر أمر الكون وشؤون الناس ومن هنا هو ذاكر دومًا لله، متوجها إليه بالدعاء والتضرع.

ومن الأسباب التي تقوي الإيمان الإكثار من ذكر الله تعالى، ومن الدعاء الذي هو العبادة، ويكون هذا الذكر والدعاء على كل حال باللسان والقلب والعمل.

وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلها، واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لا تستغني عن الله طرفة عين، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع وكثرة الدعاء والافتقار إلى الله في جلب ما يحتاجه من منافع دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على الله، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وكمال الثقة بوعد الله.

الفصل الأول

فضل الدعاء

١ـ تعريف الدعاء:

هو استدعاء العبد ربه – عز وجل – العناية، واستمداده إياه المعونة.

حقيقته : إظهار الافتقار إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة وهى سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه، ولذلك قال رسول الله ﷺ الدعاء هو العبادة.

الحث على الدعاء:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الداعى : السائل ربه حاجته.

معنى الآية الكريمة: ورد أن جماعة من الصحابة سألوا النبى قائلين: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومعنى المناجاة: المكالمة بخفض الصوت، والمناداة برفع الصوت، وإجابة الله دعوة عبده قبول طلبه وإعطاؤه مطلوبة، وما على العباد إلا أن يستجيبوا لربهم بالإيمان به وبطاعته فى أمره ونهيه(١).

(١) أيسر التفاسير، ١/١٦٥.

وقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ ﴾ تعظيم شأن النبى ﷺ بأنه يسأله المسلمون عن أمر الله تعالى، واستعمال مثل هذا الشرط مع مادة السؤال لقصد الاهتمام بما سيذكر بعده(١).

والآية جاء فيها السؤال وكانت الإجابة مباشرة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ لقد جعل الله الجواب منه لعبادة مباشرة، وحذف كلمة (قل) ليبين لهم القرب، وفائدة ذلك القرب أن الحق يقول ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٢)

قال ابن عاشور: إنما قال تعالى: ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ ولم يقل (فقل لهم إنى قريب) إيجازاً لظهوره من قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾[البقرة: ١٨٦]، ومنه أيضاً: إيهام أن الله تعالى تولىَّ جوابهم عن سؤالهم بنفسه إذ حذف فى اللفظ ما يدل على وساطة النبى ﷺ تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه فى الدعاء (٣).

واحتيج لتأكيد الجملة (بأن) فى قوله ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾لأن الخبر غريب، وهو أن يكون تعالى قريباً مع كونه لا يرونه، (أُجِيبُ) أى إذا كنت أجيب دعوة الداعى فليجيبوا أوامرى(٤).

قال تعالى:﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ما الشروط اللازمة لذلك،

لقد قال الحق: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾ فالعباد الذين التزموا الله بالمنهج الإيماني لن يسألوا الله إلا بشيء لا يتنافى مع الإيمان وتكاليفه .

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٨/٢ بتصرف.
(٢) تفسير الشعراوي ، ٧٩٤/١٠ – ٧٩٥ بتصرف.
(٣) التحرير والتنوير ١٧٨/٢.
(٤) المرجع السابق ١٧٨/٢.

وبعد ذلك يتكلم الحق – سبحانه وتعالى – فى كلمة (ٱلدَّاعِ) ولا يتركها مطلقة، فيقول (إِذَا دَعَانِ) فكأن كلمة (دعا) تأتى ويدعو بها الإنسان، ومن شروط الاستجابة للدعاء أيضاً:

قوله: (فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى) وهو أن يستجيب العبد لله سبحانه وتعالى فيما دعاه إليه، عندئذ سيكون العباد أهلا للدعاء.

وقوله: (وَلْيُؤْمِنُواْ بِى) أى أن يؤمنوا به سبحانه إلها حليما، وليس كل من يسأل يستجاب له بسؤاله نفسه، لأن الألوهية تقتضى الحكمة التى تعطى كل صاحب دعوة خيراً يناسب الداعى، لا بمقاييسه هو لكن بمقاييس من يجيب الدعوة.

ويذيل الحق الآية بقوله: (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) يعنى الوصول إلى طريق الخير وإلى طريق الصواب [١].

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

اللهم: يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوِّض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالى[٢]، «فالحق سبحانه وتعالى يأمر رسوله الكريم: (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ) إن كلمة اللهم وحدها فيها من العجائب اللغوية، إن القرآن قد نزل باللسان العربى، وأمة العرب فصيحة اللسان والبيان والبلاغة، وشاء الحق أن

(١) تفسير الشعراوي ٨٠٢/١٠ ينصرف.
(٢) أيسر التفاسير ٣٠٣/١ ، الكشاف ٢٦٨/١.

يكون للفظ الجلالة "الله" خصوصية فريدة فى اللغة العربية، إن اللغة العربية تضع قاعدة واضحة وهى ألا ينادى ما فيه، أداة التعريف مثل (الرجل) بـــ (يا) فلا يقال: (يا الرجل) بل يقال: (يأيها الرجل) فيؤتى بـــ (أي) فاصلة بين (يا) والمنادى الذي فيه (أل) لكن اللغة التى يسرها الله لعباده تخص لفظ الجلالة بالتقديس، فيكون من حق العباد أن يقولوا: (يا الله) وهذا اللفظ بجلاله له تميز حتى فى نطقه.

إنها خصوصية يلفتنا لها الحق سبحانه بأنه وحده المخصوص بها، وأيضاً ما رأينا فى لغة العرب عَلَمًا دخلت عليه (التاء) كحرف المقسم إلا الله، فإننا نقول (تالله) ولم نجد أبداً من يقول (تزيد) أو (تعمرو)»[١].

والمراد من اليد هو القدرة، والمعنى: بقدرتك الخير، والألف واللام فى الخير يوجبان العموم، فالمعنى بقدرتك تحصل كل البركات والخيرات.

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ يفيد الحصر كأنه قال: بيدك الخير لا بيد غيرك، وذلك الحصر ينافى حصول الخير بيد غيره فثبت دلالة هذه الآية من الوجهين على أن جميع الخيرات منه[٢].

وجاء التكرار للتعظيم فى قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ والإيجاز بالحذف، أى من تشاء أن تؤتيه، ومثلها، تنزع، تعز، وتذل[٣].

وفي الآية الشريفة طباق بين قوله (تؤتى وتنزع)، (وتعز، وتذل)، وجناس ناقص فى قوله (مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ).

---

(١) تفسير الشعراوي ١٨/١٤٠٥، ١٤٠٦ بتصرف.
(٢) تفسير الفخر الرازى ٧/١٦١.
(٣) صفوة، التفاسير ٣/١٩٧ بتصرف.

«ذكر القرطبى أن النضر بن شميل قال: من قال اللهم فقد دعا الله تعالى بجميع أسمائه كلها، وقال الحسن البصرى: «(اللهم) تجمع الدعاء»[١]. وفضل الدعاء بهذه الآية بأن يقرأها العبد ثم يقول: رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى منها من تشاء، وتمنع من تشاء اقض عنى دينى، فإنه يقضى بإذن الله تعالى ويعطى إن سأل حاجة له من حوائج الدنيا والآخرة»[٢].

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]

نهى الله تعالى فى هذه الآية الكريمة عبادة المؤمنين عن تمنى ما فضل الله تعالى به بعضهم على بعض فأعطى هذا وحرم ذاك لحكم اقتضت ذلك، ومن أظهرها الابتلاء بالشكر والصبر، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ﴾من عِلْمٍ أو مَالٍ، أو صحة أو جاه أو سلطان ﴿بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾[٣].

وتتأمل أسلوب النهى فى قوله: (وَلَا تَتَمَنَّوْا) "نهوا عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد [٤].

(١) تفسير القرطبي ٤/ ٥٤، دار الكتب المصرية، القاهرة ط٢، ١٣٨٤ – ١٩٦٤م.
(٢) أيسر التفاسير ١/٣٠٤.
(٣) أيسر التفاسير، ١/٤٧٠
(٤) تفسير الكشاف ١/٣٨٩.

فطبيعة النفس تجعلها دائماً تتمنى ما عند غيرها من النعم، وهذا يؤدى بطبيعة الحال إلى التحاسد والتباغض، فبين الله لنا أن على الإنسان أن يرضى بم قسم له، ولا يحسد أخا على حظه، وهذا من خلال أسلوب النهى فى قوله (وَلَا تَتَمَنَّوْاْ) فالنهى عن التمنى وتطلع النفوس إلى ما ليس لها جاء فى الآية عاماً.

ثم بين تعالى سنة أخرى فى الحصول على المرغوب وهى: دعاء الله تعالى فقال: (وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا) فمن سأل ربه وألح عليه موقناً بالإجابة أعطاه، فيوفقه للإتيان بالأسباب ويصرف عنه الموانع، ويعطيه بغير سبب إن شاء وهو على كل شئ قدير [١].

وأسلوب الآخر فى قوله: (وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ) إرشاد إلى طلب الممكن، إذ قد علموا أن سؤال الله ودعاءه يكون فى مرجُوٍّ الحصول[٢]، وبين فضل الدعاء وأنه من الأسباب التى يحصل بها المراد.

قال الزمخشرى: "فلا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل، ولكن سلوا الله من خزائنه التى لا تنفد"[٣].

وقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا) تذييل مناسب لهذا التكليف لأنه متعلق بعمل النفس لا يراقب منه إلا ربه[٤].

ولهذه الفاصلة أيضاً دورها في إتمام معنى الآية، فهى تؤكد علم الله بطبيعة النفس البشرية.

❁❁❁❁❁❁

(١) أيسر التفاسير ١/٤٧٠.
(٢) التحرير والتنوير ٥/٢٩.
(٣) الكشاف ١/٣٨٩.
(٤) التحرير والتنوير ٥/٣٢.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]

والمعنى: "إنهم لا يستطيعون وقت الخطر الداهم أن يكذبوا على أنفسهم، إنما ينادون الله الذى لا يعلنون الإيمان به، ولو كانوا صادقين مع كفرهم لما نادوا الله، بل كان يجب أن ينادوا آلهتهم، لكنهم فى لحظة الخطر يقولون: "يارب" كأنهم يعرفون أنه لا منقذ لهم إلا هو سبحانه ، وهكذا ينكشف أمامهم كذب كفرهم وشركهم بالله"(١).

قوله تعالى: (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ) استئناف ابتدائى يتضمن تهديداً بالوعيد، وافتتح هذا التهديد بالأمر بالقول (قل) اهتماماً به(٢).

وقوله (أَرَءَيْتَكُمْ) مكونة من استفهام، وفعل، ومن ضمير، وهو لفظ التاء المفتوح للمخاطب(٣)، وهو تركيب شهير الاستعمال، يفتتح بمثله الكلام الذي يراد تحقيقه والاهتمام به، وهمزة الاستفهام منه للاستفهام التقريري.

وبذلك تأتى أن يكون هذا التركيب جارياً مجرى المثل لما فيه من الإيجاز تسهيلاً لشيوع استعماله استعمالاً خاصاً لا يُغيَّر عنه، فلذلك لا تُكْسَرُ تلك التاء فى خطاب المؤنث ولا تُضَمُّ فى خطاب المثنى والجمع (٤).

قال الزمخشرى: متعلق الاستخبار محذوف، تقديره: إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون (٥)، وهو من الإيجاز بالحذف.

---

(١) تفسير الشعراوي ٣٦١٦/٤٥.
(٢) التحرير والتنوير ٢٢١/٧.
(٣) صفوة التفاسير ٣٩٠/٣.
(٤) التحرير والتنوير ٢٢٢/٧.
(٥) الكشاف ١٧/٢.

ثم بكتهم بقوله: (أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ) بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم، إذا أصابكم ضرّر، أم تدعون الله دونهما؟ (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون إليه) أى ما تدعونه إلى كشفه (إِن شَآءَ) إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة (وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) وتتركون آلهتكم أولا تذكرونها فى ذلك الوقت: لأن أذهانكم فى ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده، إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره [١].

ومن الإيجاز بحذف جواب الشرط قوله تعالى (إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ) فهى جملة شرطية حذف جوابها لدلالة جملة المفعول الثانى عليه.

وإتيان العذاب: حلوله وحصوله، فهو مجاز لأن حقيقة الإتيان المجئ، وهو الانتقال من موضع بعيد إلى الموضع الذى استقر فيه مفعول الإتيان، فيطلق مجازاً على حصول شيء لم يكن حاصلاً وكذلك القول فى إتيان الساعة سواء [٢].

ومن الإطناب بالتكرار قوله تعالى (أَتَىٰكُمُ ٱلسَّاعَةُ) حيث كرر قوله (أتتكم) للتهويل والتخويف.

قال ابن عاشور: ووجه إعادة فعل (أَتَىٰكُمُ ٱلسَّاعَةُ) مع كون حرف العطف مغنياً عن إعادة العامل بأن يقال: إن أتاكم عذاب الله أو الساعة، هو ما يوجه به الإظهار فى مقام الإضمار من إرادة الاهتمام بالمظهر بحيث يعاد لفظه الصريح لأنه أقوى استقراراً فى ذهن السامع، والاهتمام هنا دعا إليه التهويل وإدخال

(١) المرجع السابق ١٧/٢.
(٢) التحرير والتنوير ٢٢٣/٧.

الروع فى ضمير السامع، بأن يصرح بإسناد هذا الإتيان لاسم المسند إليه الدال على أمر مهول ليدل تعلق هذا الفعل بالمفعول على تهويله وإراعته [١].

ومن القصر بالتقديم قوله (أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ) [الأنعام: ٤٠ -٤١]

فتقدم (أَغَيْرَ ٱللَّهِ) على عامله وهو (تَدْعُونَ) لتكون الجملة المستفهم عنها جملة قصر، أى أتعرضون عن دعاء الله فتدعون غيره دونه كما هو دأبكم الآن، فالقصر لحكاية حالهم لا لقصد الرد على الغير وقد دل الكلام على التعجب، أى تستمرون على هذه الحال، والكلام زيادة فى الإنذار [٢].

وقوله: (إِيَّاهُ تَدْعُونَ) فتقديم المفعول على تدعون للقصر، أى لا تدعون غيره لكشف الضر عنكم، وهو قصر صفة على موصوف، وفيه تأكيد على أنهم كانوا يدعون الله.

ومن الإيجاز بالحذف: حذف مفعول (تَدْعُونَ) وهو ضمير اسم الجلالة.

أى: ما تدعونه، ومفعول شاء محذوف على طريقة حذف مفعول فعل المشيئة الواقع شرطاً.

وقوله: (وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) أى تنسون ما تشركون مع الله، وهو الأصنام [٣]، فالفاصلة تممت معنى الآية، وأكدت على أنهم كانوا يدعون الله إذا أصابهم ضرّ، ويتركون ألهتهم ولا يتذكرونها فى ذلك الوقت.

❁❁❁❁❁❁

(١) المرجع السابق ٢٢٤/٧.
(٢) التحرير والتنوير بتصرف ٢٢٥/٧.
(٣) التحرير والتنوير بتصرف ٢٢٥/٧.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢]

والمعنى: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك الرسل فكذبوهم، فأخذناهم، بالجوع والبؤس، والمرض ونقصان الأموال، لعلهم يتذللون، ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم(١).

قال ابن عاشور: لما أنذرهم بتوقع العذاب – في الآيات السابقة – أعقبه بالاستشهاد على وقوع العذاب، بأمم من قبل، ليعلم هؤلاء أن تلك سنة الله فى الذين ظلموا بالشرك(٢).

وهذا الخبر مستعمل فى إنذار السامعين من المشركين على طريقة التعريض، وهم المخاطبون بالقول المأمور به فى الجملة التى قبلها فجملة: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ) عطف على جملة: (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ) [الأنعام: ٤٠].

وافتتحت هذه الجملة بـــ (لام القسم وقد) لتوكيد مضمون الجملة، حيث نزل السامعون المُعرَّض بإنذارهم منزلة من ينكرون أن يكون ما أصاب الأمم الذين من قبلهم عقاب من الله تعالى على إعراضهم(٣).

ومعنى: (يَتَضَرَّعُونَ) يتذللون، لأن الضراعة التذلل والتخشع، وهو هنا كناية عن الاعتراف بالذنب والتوبة منه، وهى الإيمان بالرسل.

---

(١) الكشاف ١٨/٢ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير ٢٢٧/٧.
(٣) المرجع السابق ٢٢٧/٧ بتصرف.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: ٤٣]

معناه: نفى التضرع، كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا، ولكنه جاء بـــ (لولا) ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم[١] وهذا عتاب على ترك الدعاء وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا مع قيام ما يدعوهم إلى التضرع [٢].

قوله: (فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ) إن (لولا) هنا حرف توبيخ لدخولها على جملة فعلية ماضوية واحدة، فليست (لولا) حرف امتناع لوجود[٣].

وتقديم الظرف المضاف مع جملته على عاملة فى قوله (إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ) للاهتمام بمضمون جملته وأنه زمن يحق أن يكون باعثا على الإسراع بالتضرع مما حصل فيه من البأس.

والبأس: المراد به هنا الشدة على العدو وغلبته، ومجئ البأس: مجئ أثره، فإن ما أصابهم من البأساء والضراء أثر من آثار قوة قدرة الله تعالى وغلبه عليهم، والمجيء مستعار للحدوث والحصول بعد أن لم يكن، تشبيهاً لحدوث الشيء بوصول القادم من مكان آخر بتنقل الخطوات [٤].

---

(١) الكشاف ١٨/٢.
(٢) صفوة التفاسير ٣٩٠/٣.
(٣) التحرير والتنوير ٢٢٧/٧.
(٤) التحرير والتنوير ٢٢٨/٧.

وقوله: (وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) والمعنى: قلوبهم القاسية تمنعهم حتى فى لحظة المس بالضر أن يلجأوا إلى الله، إن قسوة القلب تكون بالصورة التى لا ينفذ إليها الهدى [١].

فكأن قلوبهم لا تتأثر فشبهت بالشيء القاسى، والقسوة الصلابة [٢].

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣].

الظلمة – إذن –هى عدم النور، ولم يقل الحق إن طلب النجاة يكون من ظلمة واحدة، وإنما طلب النجاة من ظلمات متعددة، وهى ظلمات متراكمة، لأن الظلمة إذا ما غشيت بظلمة ثانية، ثم بظلمة ثالثة، حينئذ تصير ظلمات مركبة بعضها فوق بعض.

والحق سبحانه وتعالى قال: (ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ) وحتى نعرف أهى ظلمات حسيّة أم ظلمات معنوية؟ لابد لنا أن نعرف الظلمة فى معناه الحسى، إنها ما يؤدى إلى عدم الاهتداء إلى الحركة المنجية، إذن فكل أمر يؤدى إلى عدم الاهتداء – حسياً أو معنوياً – هو ظلمة، لأن الإنسان فى هذه الحالة يسير فى أموره بغير اهتداء، والأحداث والكوارث التى يصعب على الناس أن يعرفوا طريق النجاة منها تعتبر ظلمة، سواء كانت ظلمة حسيّة أم معنوية.

(١) تفسير الشعراوي ٣٦١٩/٤٥ بتصرف.
(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٢٩/٧.

والحق سبحانه وتعالى يقرب لنا المعنويات بالأمور الحسيّة، والمراد بالظلمات هنا هى الأحداث والكوارث والنوازل التى تضيق أسباب البشر عن النجاة منها»[١].

حيث شبه الأحداث والكوارث بالظلمات، بجامع عدم الاهتداء فى كل على طريق الاستعارة التصريحية.

و(الظلمات) قيل: على حقيقتها، وقيل: أطلقت الظلمات مجازاً على المخاوف الحاصلة فى البر والبحر، كما يقال يوم مظلم إذا حصلت فيه شدائد [٢].

قوله: (قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ):

وقوله: (قل) إعادة الأمر بالقول إطناب بالتكرار للاهتمام.

«والاستفهام مستعمل فى التقرير والإلجاء»[٣].

والإنسان لحظة الخطر إنما يدعو الله تضرعاً وخفية، والدعاء يحتاج إلى قول وفعل ووجدان، وهذه الأركان الثلاثة تتوافر فى قول الحق (تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً) [الأنعام: ٦٣].

فكلمه (تَدۡعُونَهُۥ): قول (تَضَرُّعًا): فعل لأنه خشوع وخضوع، (وخفية) انكسار القلب وخشيته و(أَنجَىٰنَا) تدل على التعدد، لأن الفعل للتجدد والحدوث [٤].

والمعنى: تدعون ربكم عند معاينة هذه الأهوال مخلصين له الدعاء مظهرين الضراعة، تضرعاً بألسنتكم وخفية فى أنفسكم، قائلين: لئن خلصتنا من هذه الظلمات والشدائد لنكوننَّ من المؤمنين الشاكرين[٥].

---

(١) تفسير الشعراوي ٣٦٩٤/٤٦.
(٢) انظر تفسير الكشاف ٣٥/٢، التحرير والتنوير ٢٨١/٧.
(٣) التحرير والتنوير ٢٨٠/٨.
(٤) تفسير الشعراوي ٣٦٩٩/٤٦.
(٥) صفوة التفاسير ٣٩٦/٧ بتصرف.

حذف القول للإيجاز، فجملة (لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا) فى محل نصب بقول محذوف، أى (قائلين) وحذف القول كثير فى القرآن إذا دلت عليه قرينة الكلام.

واللام فى (لَّئِنْ) الموطئة للقسم واللام فى (لَنَكُونَنَّ) لام جواب القسم، وجئ بضمير الجمع؛ لأن المقصود حكاية اجتماعهم على الدعاء بحيث يدعو كل واحد عن نفسه وعن رفاقه، والإشارة بـــ (هذه) إلى الظلمة المشاهدة للمتكلم باعتبار ما ينشأ عنها، أو باعتبار المعنى المجازى وهو الشدة.

وقولهم (مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) أبلغ من أن يقال (لتكونن شاكرين) [1] لأن قوله: (من الشاكرين) يقتضي أنهم من أمة موسومة بهذه السمة وهو الشكر، وقد بين ذلك ابن المنير في كتابه (الانتصاف من صاحب الكشاف) وهو بذيل كتاب الكشاف للزمخشري فقال في قوله تعالى في قصة لوط: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۝١٧١﴾ [الشعراء: ١٧٠ – ١٧١].

قال: «فاعلم أن السر الذي اقتضى العدول عن أن يقول مثلا: (إلا عجوزا غابرة) إلى ما ذكر في المتْلُوِّ: هو أن المذكور في التلاوة يقتضي الإسجال عليها بأنها من أمة موسومة بهذه السمة من الهلاك، فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور، والله أعلم[2].

❁❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير ٢٨١/٧.
(٢) كتاب الانتصاف مطبوع بذيل الكشاف ٢٦١/٣.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٩]

أنه تعالى أمر فى هذه الآية بثلاثة أشياء:

أولها: أنه أمر بالقسط، وهو قول: لا إله إلا الله، وهو يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وأفعاله وأحكامه، ثم على معرفة أنه واحد لا شريك له.

ثانيها: أنه أمر بالصلاة وهو قوله تعالى: (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد).

ثالثها: قوله تعالى (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) لما أمر فى الآية الأولى بالتوجه إلى القبلة، أمر بعده بالدعاء، وقيل المراد به أعمال الصلاة، وسماها دعاء، لأن الصلاة فى أصل اللغة عبارة عن الدعاء، ولأن أشرف أجزاء الصلاة هو الدعاء والذكر(١).

وقوله (أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) خبر، وقوله تعالى (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ) أمر، وعطف الأمر على الخبر لا يجوز (٢) فالتقدير (قل أمر ربي بالقسط وقل وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)(٣).

قال الشعراوى: قد يتبادر إلى الذهن أن هذا من عطف الأمر على الخبر، ولكن لنلتفت إلى أن الحق يعطفها على (قل) فكأن المقصود هو أن يقول (قل أمر ربى بالقسط، وقل أقيموا وجوهكم عند كل مسجد) (٤).

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٤٤/١٣ بتصرف.
(٢) يقصد عطف الإنشاء على الخبر، فالأمر من أنواع الإنشاء الطلبى، قال البهاء السبكى: "وأعلم أن الخبر والإنشاء المتمحضين لا يعطف أحدهما على الآخر فيجب الفصل بلاغة أما لغة يجوز".
عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢٦/٣.
(٣) تفسير الفخر الرازى ٤٤/١٣.
(٤) تفسير الشعراوي ٨/٥١-٤١

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليهم فى إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق، والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم، فأخلصوا له العبادة(١).

فلما أراد القرآن أن يقّرب أمر البعث إلى الأذهان بتوجيه النظر إلى بّدْء الإنسان، وأن هذا البعث صورة من هذا البدء (٢)، فقال ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، فشبه البعث بابتداء الخلق، فالله قادر على أن يبعث الإنسان مرة أخرى كما خلقه أول مرة، وهذا رد على من أنكر البعث.

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فقد أخبر تعالى فيها بأن الأسماء الحسنى له تعالى خاصة لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وقد أخبر النبى ﷺ أنها مائة اسم إلا اسماً اى تسعة وتسعون اسماً، ووردت مفرقة فى القرآن الكريم، وأمر تعالى عباده أن يدعوه بها يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا رب، يا حى يا قيوم وذلك عند سؤالهم إياه وطلبهم منه ما لا يقدرون عليه، كما أمرهم أن يتركوا أهل الزيغ والضلال الذين يلحدون فى أسماء الله فيؤلونها، أمر عباده المؤمنين به أن يتركوا هؤلاء له ليجزيهم الجزاء العادل على ما كانوا يقولون ويعملون(٣).

---

(١) الكشاف ٢/٧٨.
(٢) التعبير الفنى فى القرآن الكريم ٢٠١، د. بكرى شيخ أمين
(٣) أيسر التفاسير ٢/١٠٢.

وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ) مذكور فى أربع سور:

أولها: هذه السورة، **ثانيها** فى آخر سورة بنى إسرائيل فى قوله تعالى: (قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) [الإسراء: ١١٠].

ثالثها: فى أول طه وهو قوله تعالى: (ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ) [طه: ٨].

رابعها: فى آخر الحشر وهو قوله تعالى: (هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ) [الحشر: ٢٤]، وقوله تعالى: (لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ) يفيد الحصر، ومعناه: أن الأسماء الحسنى ليست إلا لله تعالى [(١)].

ويرى ابن عاشور أن تقديم المجرور المسند على المسند إليه لمجرد الاهتمام فقال:

«وتقديم المجرور المسند على المسند إليه لمجرد الاهتمام المفيد تأكيد استحقاقه إياها، المستفاد من اللام، ولمعنى أن اتصافه بها أمرٌ ثابت، وذلك تمهيد لقوله: (فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) [الأعراف: ١٨٠]، ووصف الأسماء بـــ (ٱلْحُسْنَىٰ) لأنها دالة على ثبوت صفات كمال حقيقى»[(٢)].

والحسنى: تأنيث لكلمة (الأحسن) اسم تفضيل، وهى الأسماء الحسنى فى صلاحية الألوهية لها، وصلاحيتها للألوهية.

---

(١) تفسير الفخر الرازى ٣٦٧/١٤.
(٢) التحرير والتنوير ١٨٦/٩.

وحين تقول عنه سبحانه: إنه (رحيم) فهذا أمر حسن عندى وعندك لأننى انظر إلى رحمته لى، وأنت تنظر إلى رحمته لك، وحين تقول: (قهار) وأنت مذنب ستخاف، وهى صفة حسنى بالنسبة للإله، لأن الإله لا بد أن تكون له صفات جمال وصفات جلال، فصفات الجمال لمن أطاع، وصفات الجلال لمن عصى [١].

ولتلك الدعوة شرائط، منها أن يكون مستحضراً لأمرين:

١. عزة الربوبية.

٢. ذلة العبودية، فهناك يحسم الدعاء ويعظم موقع ذلك الذكر، فأما إذا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة [٢].

والتفريع فى قوله: (فادعوه بها) تفريع عن كونها أسماء له، وعن كونها حسنى، أى فلا حرج فى دعائه بها لأنها أسماء متعددة لِمُسَمًّى واحد[٣].

وقد أمر عباده بأمرين:

الأمر الأول: قوله (فَٱدۡعُوهُ) أمرهم بدعاء الله تعالى بأسمائه الحسنى، نحو يارب، يا رحمن، يا عزيز، يا جبار ....، وعطف عليه.

الأمر الثانى: وهو قوله (وَذَرُواْ) أمرهم أن يتركوا الذين يلحدون فى أسماء الله ليجزيهم الجزاء العادل.

وجملة: (سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) تنزل منزلة التعليل للأمر بترك الملحدين، فلذلك فصلت، أى لا تهتموا بإلحادهم، ولا تحزنوا له، لأن الله سيجزيهم بسوء صنيعهم، وسمى إلحادهم عملا لأنه من أعمال قلوبهم وألسنتهم.

---

(١) تفسير الشعراوي ٥٦ / ٤٤٨٢ – ٤٤٨٣ بتصرف.
(٢) تفسير الفخر الرازى ١٤/ ٣٧٣ بتصرف.
(٣) التحرير والتنوير ١٨٧/٩.

والسين للاستقبال، وهى تفيد تأكيد الجزاء،

لم قال: (ما كانوا يعملون) ولم يقل (ما عملوا)؟

للدلالة على أن ذلك العمل سنة لهم ومتجدد منهم[١].

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢]

الضرورة الحاجة المحوجة إلى اللجإ، والاضطرار افتعال منها لا من الضُّرِّ[٢].

والمضطر: الذى أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجإ والتضرع إلى الله [٣].

والمعنى: أن المضطر إذا دعا لتحصيل ما اضطر إليه فإنه لا يجيبهُ إلا الله.

وقوله (وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ): الكشف: أصله رفع الغشاء، فشبه السوء الذى يعترى المضرور بغشاء يحول دون المرء ودون الاهتداء إلى الخلاص تشبيه معقول بمحسوس[٤].

والكلام على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه السوء بالغشاء وحذف المشبه به (الغشاء) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الكشف).

---

(١) المرجع السابق ١٩٠/٩ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير ١٤/٢٠ بتصرف، الكشاف٢٩٦/٣.
(٣) الكشاف ٢٩٦/٣.
(٤) التحرير والتنوير ١٥/٢٠.

وهو أيضاً مستعار للإزالة بقرينة تعديته إلى السوء، حيث شبه إزالة السوء بكشف الغشاء، بجامع ذهاب الشيء فى كل، ثم تنوس التشبيه وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعير المشبه به للمشبه، ثم اشتق منه كشف بمعنى (أزال) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

كل استعارة تبعية يمكن أن ترد إلى المكنية، وإذا أجريت مكنية تجري استعارة تبعية وهذا على رأي الزمخشري(١).

ويرى السكاكي: أنه إذا أجريت الاستعارة المكنية فلا تجري استعارة تبعية؛ لأن القرينة حينئذ تكون مستعملة في معناها الحقيقي، وأراد بهذا الاختيار تقليل أقسام البيان(٢).

والمعنى: إن الله يكشف السوء عن المسوء إذا دعاه أيضاً فحذف، من الجملة المعطوفة لدلالة ما ذكر مع الجملة المعطوف عليها، أن يكشف السوء عن المستاء إذا دعاه.

وقوله تعالى: (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ) أى يجعلكم تَعْمُرون الأرض وتجتنون منافعها (٣).

وقوله: (أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ) استفهام إنكارى الغرض منه التوبيخ وقوله: (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) "لتذكر من الذُّكر بضم الذال، وهو ضد النسيان، فهو استحضار المعلوم، أى قليلا استحضاركم الافتقار إلى الله" (٤).

---

(١) انظر الكشاف ٩٠/١.
(٢) انظر مفتاح العلوم للسكاكي٣٨٣-٣٨٤، علم البيان، د. عبد الفتاح لاشين٢٢٣ – ٢٢٤.
(٣) التحرير والتنوير ١٥/٢٠.
(٤) المرجع السابق ١٦/٢٠.

وقوله (تَذَكَّرُونَ) إيجاز بالحذف، إى: (يذكَّرون تذكرا قليلاً، والمعنى نفى التذكر، والقلة تستعمل فى معنى النفى) (١).

قال ابن عاشور: والقليل هنا مكنى به عن المعدوم، لأن التذكر المقصود معدوم منهم، والكناية بالقليل عن المعدوم مستعملة فى كلامهم، وهذه الكناية تلميح وتعريض، أى إن كنتم تذكرون فإن تذكركم قليل(٢).

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجـدة: ١٥ – ١٧]

المراد بالآيات هنا آيات القرآن بقرينة قوله: الذين إذا ذُكِّروا بها، بتشديد الكاف أى أعيد ذكرها عليهم وتكررت تلاوتها على مسامعهم.؟

ومفاد إنما قصر إضافى: أى يؤمن بآيات الله الذين إذا ذُكِّروا بها تذكيرًا بما سبق لهم سماعُه لم يتريَّثوُا عن إظهار الخضوع لله (٣).

وقوله تعالى (يؤمن) بصيغة المضارع التى تفيد التجدد والحدوث، لما تُشعُر به من أنهم يتجددون فى الإيمان ويزدادون يقينا فى كل وقت.

وتعريف المسند إليه بالموصولية (الذين) للتعظيم وللدلالة على أنهم راسخون فى الإيمان.

---

(١) الكشاف ٢٩٧/٣.
(٢) التحرير والتنوير ١٦/٢٠.
(٣) التحرير والتنوير ٢٢٧/٢١.

وقوله: (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) جئ فى نفي التكبر عنهم بالمسند الفعلى لإفادة اختصاصهم بذلك، أى دون المشركين [١].

وقوله تعالى: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ)

التجافى : التباعد، والمضاجع: الفرش جمع مضجع وهو مكان الضجع، أى الاستلقاء للراحة والنوم.

والمعنى : أن تجافى جنوبهم عن المضاجع يتكرر فى الليلة الواحدة، أى: يكثرون السهر بقيام الليل والدعاء لله.

وجئ فيها بالمضارع لإفادة تكرر ذلك تُجَدَّده منهم فى أجزاء كثيرة من الأوقات المعدة للاضطجاع وهى الأوقات التى الشأن فيها النوم.

وقوله (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) أى يتصدقون به[٢].

وقوله: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ) كناية عن كثرة العبادة وقيام الليل والدعاء لله.

وقوله تعالى: (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) خوفا من عذابه، وطمعاً فى رحمته وثوابه، وبين (خَوْفًا وَطَمَعًا) طباق يؤكد المعنى ويقويه.

وقوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) [السجدة: ١٧]

وقوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ)، أى لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم [٣].

---

(١) المرجع السابق ٢٢٨/٢١.
(٢) التحرير والتنوير ٢٢٩/٢١ بتصرف.
(٣) التحرير والتنوير ٢٣٠/٢١.

قال الزمخشرى: أى لا تعلم النفوس – كلهمّ ولا نفس واحدة منهمّ لا ملك مقرب ولا نبى مرسل – أىّ نوع عظيم من الثواب ادّخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه، لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم [١].

(وقرة أعين) كناية عن المسرة.

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤]

الدعاء هنا: الإعلان وذكر الله ونداؤه، ويشمل الدعاء بمعنى سؤال الحاجة شمول الأعم للأخص، والدعاء يطلق على العبادة.

والأمر مستعمل فى طلب الدوام، لأن المؤمنين قد دعوا الله مخلصين له.

فالمقصود: دوموا على ذلك ولو كره الكافرون، لأن كراهة الكافرين ذلك من المؤمنين تكون سبباً لمحاولتهم صرفهم عن ذلك بكل وسيلة يجدون إليها سبيلاً فيخشى ذلك أن يفتن فريقاً من المؤمنين، فالكراهية: كناية عن المقاومة والصد، لأنهما لازمان للكراهية، لأن شأن الكاره أن لا يعبر عن دوام ما يكره [٢].

وقوله تعالى: (وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ) للمبالغة، أى اعبدوه واخلصوا له قلوبكم، حتى ولو كره الكافرون ذلك.

❁❁❁❁❁❁

(١) الكشاف ٣/٤٠٥.
(٢) التحرير والتنوير ٢٤/١٠٥ بتصرف.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]

وقوله (ادعونى) اعبدونى، والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن، والاستجابة: الإنابة: وفى تفسير مجاهد: اعبدونى أثبكم.

ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما، ويريد بعبادتى: دعائى، لأن الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها، يصدقه قول ابن عباس رضى الله عنهما: أفضل العبادة الدعاء [(١)].

قال ابن كثير: (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة)[(٢)].

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالدعاء العبادة، قال القرطبى: الدعاء هو العبادة، والمعنى: وحدونى واعبدونى أتقبل عبادتكم واغفر لكم، وقيل: هو الذكر والدعاء والسؤال[(٣)].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ﴾.. يجوز أن يكون الماضي مستعملا في الحال مجازًا، ويجوز أن يكون (قال ربكم) أي يقول ربكم ادعوني.

«والدعاء يطلق بمعنى النداء المستلزم للاعتراف بالمنادى، ويطلق على الطلب، وقد جاء من كلام النبي ﷺ ما فيه صلاحية معنى الدعاء الذي في هذه الآية لما يلائم المعنيين، في حديث النعمان بن بشير قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠]، رواه

---

(١) الكشاف ١٣٦/٤.
(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ١٣٩.
(٣) تفسير القرطبى ١٥/ ٣٢٦ – ٢٣٧.

الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، فإن قوله: «الدعاء هو العبادة» يقتضي اتحاد الحقيقتين.

فإذا كان الدعاء هو العبادة كانت العبادة هي الدعاء لا محالة.

فالدعاء يطلق سؤال العبد من الله حاجته، وهو ظاهر معناه في اللغة، ويطلق على عبادة الله على طريق الكناية لأن العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه والتضرع إليه.

وهذا إطلاق أقل شيوعا من الأول، ويراد بالعبادة في اصطلاح القرآن إفراد الله بالعبادة، أي الاعتراف بوحدانيته.

والاستجابة تطلق على إعطاء المسؤول لمن سأله، فلما جمعت الآية بين الفعلين على تفاوت بين شيوع الإطلاق في كليهما علمنا أن في المعنى المراد ما يشبه الاحتباك بأن صرح بالمعنى المشهور في كلا الفعلين، ثم أعقب بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾ فعلمنا أن المراد الدعاء والعبادة، وأن الاستجابة أريد بها قبول الدعاء وحصول أثر العبادة، ففعل ادعوني مستعمل في معنييه بطريقة عموم المشترك، وفعل (استجب) مستعمل في حقيقته ومجازه، والقرينة، عَلِمْتَ، وذلك من الإيجاز والكلام الجامع(١).

وتعريف الله بوصف الرب مضافا إلى ضمير المخاطبين لما في هذا الوصف وإضافته من الإيماء إلى وجوب امتثال أمره.

وجملة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ تعليل للأمر بالدعاء تعليلا يفيد التحذير من إبَايَةِ دعاء الله.

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٨١ – ١٨٢.

وفي الآية دليل على طلب الله من عباده أن يدعوه في حاجاتهم، ومشروعيةُ الدعاء لا خلاف فيها بين المسلمين.

وداخرين حال من ضمير سيدخلون: أي أذلة[١].

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

أي هو تعالى المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية، الباقي الذي لا يموت، فاعبدوه وحده مخلصين له العبادة والطاعة، قائلين: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ أي الثناء والشكر لله مالك جميع المخلوقات[٢].

لم قال: ﴿ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾؟ ولم يقل: (فاعبدوه مخلصين له الدين)؟.

والجواب: كل العبادات تشتمل على الدعاء، لكن وقتها محدد بزمن، مثل الصلاة، والصوم، والحج... إلخ، لكن الدعاء ليس له وقت محدد، فالإنسان يدعو ربه في كل وقت في الليل أو في النهار، حتى في معاملته مع الآخرين يدعو لهم مثل: أعزك الله، بارك الله فيك.

في الدعاء يكون الإنسان متضرعا خاشعاً متذللا، يرجو رحمة الله ويخشى عذابه، وفي ذلك قمة العبودية والخضوع لله وحده.

---

(١) المرجع السابق ٢٤/ ١٨٢ بتصرف.
(٢) صفوة التفاسير ٢٣/ ١٨.

قال ابن عاشور: «والدعاء: العبادة لأنها يلازمها السؤال والنداء في أولها وفي أثنائها غالبا، لأن الدعاء عنوان انكسار النفس وخضوعها»[١].

«وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ قصر حقيقي ادعائي لعدم الاعتداد بحياة ما سواه من الأحياء لأنها عارضة ومعرضة للفناء والزوال.

وتقديم (له) المتعلق (بمخلصين) على مفعول (مخلصين) وهو الدِّين لأنه الأهم في هذا المقام به لأنه أشد تعلقا بمتعلقه من تعلق المفعول بعامله.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ يجوز أن تكون إنشاء للثناء على الله كما هو شأن أمثالها في غالب مواقع استعمالها كما تقدم في سورة الفاتحة، فيجوز أن تكون متصلة بفعل (فادعوه) على تقدير قول محذوف، أي قائلين (الحمد لله رب العالمين)، أو قولوا: (الحمد لله رب العالمين)، وقرينة المحذوف هو أن مثل هذه الجملة مما يجري على ألسنة الناس كثيراً فصارت كالمثل في إنشاء الثناء على الله»[٢].

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [عافر: ١٤].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

ما سبب الاختلاف بين الفاصلتين مع أن المتحدّث عنه في الآيتين واحد؟

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٩٤.
(٢) المرجع السابق ٢٤/ ١٩٤ بتصرف.

لعل سر الفاصلة في الآية الأولى أن ما سبقها أمر من الله بإخلاص العبادة له، وهذا يغيظ الكافرين، فناسب ختم الآية بقوله: ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ١٤ ﴾.

والفاصل في الآية الثانية قد سبقها الحديث عن وحدانية الله جلَّ جلاله، وأنه الباقي الذي لا يموت، فناسب ختمُها بالثناء والشكر لله مالك جميع المخلوقات.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من قال لا إله إلا الله؛ فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين»(١).

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾ [الطور ٢٥ – ٢٨].

والمعنى : يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله، قالوا: نحن كُنَّا أرقاء القلوب من خشية الله، فوقانا عذاب النار، فنحن من قَبْلِ لقاء الله تعالى والمصير إليه (يعنون في الدنيا) – كُنَّا نعبده ونسأله الوقاية، إنه هو المحسن العظيم الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب(٢).

---

(١) أخرجه الطبري، والحاكم أيضا، والبيهقي في الأسماء والصفات، الكشاف ٤/ ١٣٨.
(٢) انظر الكشاف ٤/ ٣٢٨.

ضمير (بعضهم) عائد إلى المتقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الطور: ١٧]، وعلى ذريتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢١].

وجملة (قالوا) بيان لجملة (يتساءلون).

والسَّموم: بفتح السين، أصله اسم الريح التي تهبُّ من جهة حارة جدا فتكون جافةً شديدة الحرارة، وهي معروفة في بلاد العرب تهلك من يتنشقها، وأطلق هنا على ريح جهنم على سبيل التقريب بالأمر المعروف(١).

وجملة ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ تعليل لمنة الله عليهم وثناء على الله بأنه استجاب لهم، أي كنا من قبل اليوم ندعوه، أي في الدنيا، وحذف متعلق ندعوه للنعيم، أي كنا نبتهل إليه في أمورنا، وسبب العموم داخل ابتداء، وهو الدعاء لأنفسهم ولذرياتهم بالنجاة من النار وبنوال نعيم الجنة.

ولما كان هذا الكلام في دار الحقيقة لا يصدر إلا عن إلهام ومعرفة كان دليلا على أن دعاء الصالحين لأبنائهم وذرياتهم مرجو الإجابة(٢).

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾:

البر: المحسن(٣). الرحيم: صيغة مبالغة، أي الشديد الرحمة، والجملة مؤكدة بـــ (إن) وموقع جملتها التعليل.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٥٧.
(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٥٧.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٢٨.

وضمير الفصل (هو) لإفادة القصر، وهو لقصر صفتي البر والرحيم على الله تعالى وهو قصر حقيقي ادعائي للمبالغة، لعدم الاعتداد ببر غيره ورحمة غيره بالنسبة إلى برور الله ورحمته باعتبار القوة، فإن غير الله لا يبلغ بالمبرة والرحمة مبلغ ما لله، وباعتبار عموم المتعلق وباعتبار الدوام، لأن الله بر في الدنيا والآخرة، وغير الله بر في بعض أوقات الدنيا ولا يملك في الآخرة شيئا"[١].

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس: ١٢].

والمعنى: إذا أصاب الإنسان الضر من مرض أو فقر أو نحو ذلك، دعانا في جميع الحالات؛ مضجعا أو قاعدا أو قائما لكشف ذلك الضر عنه، فلما أزلنا ما به من ضرٍّ استمرَّ على عصيانه ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وهو عتاب لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية.

وكما زُيِّن لذلك الإنسان الدعاء عند الضرِّ والإعراض عند الرخاء، كذلك زُيِّن للمسرفين المتجاوزين الحد في الإجرام، ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر ومتابعة الشهوات[٢].

والدعاء: هنا الطلب والسؤال بتضرع، واللام في قوله: (لِجَنۢبِهِۦٓ) بمعنى (على) وقد بدأ بذكر الجنب، وزيادة قوله: أو قاعدا أو قائما، فلقصد تعميم الأحوال

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٥٨ بتصرف.
(٢) انظر صفوة التفاسير ١١/ ٥٧٥.

وتكميلها، لأن المقام مقام الإطناب لزيادة تمثيل الأحوال، أي دعانا في سائر الأحوال لا يلهيه عن دعائنا شيء[١].

والكشف: حقيقته إظهار شيء عليه ساتر أو غطاء، وشاع إطلاقه على مطلق الإزالة، إما عن طريق المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق، وإما على طريقة الاستعارة بتشبيه المزال بشيء ساتر بشيء[٢].

شبه الضر بالساتر، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الكشف) على سبيل الاستعارة المكنية.

(والكشف) مستعار للإزالة، حيث شبه إزالة الضر بكشف الساتر، بجامع إظهار شيء كان مختفيا، ثم استعير المشبه به للمشبه، ثم اشتق منه كشف بمعنى أزال على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

والمرور: هنا مجازي بمعنى استبدال حالة بغيرها، شبه الاستبدال بالانتقال من مكان إلى آخر لأن الانتقال استبدال، أي انتقل إلى حال كحال من لم يسبق له دعاؤنا، أي نسي حالة اضطراره واحتياجه إلينا فصار كأنه لم يقع في ذلك الاحتياج[٣].

وقوله: ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ ﴾ تقديره: كأنه لم يدعنا، فخفف وحذف ضمير الشأن[٤]، على سبيل الإيجاز بالحذف.

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ١١٠.
(٢) المرجع السابق ١١/ ١١٢.
(٣) التحرير والتنوير ١١/ ١١١.
(٤) الكشاف ٢/ ٢٦١، انظر تفسير الفخر الرازي ١٥/ ٣٠٠.

وقوله: (كذلك) فالإشارة إلى التزيين المستفاد هنا وهو تزيين إعراضهم عن دعاء الله في حالة الرخاء.

والكاف للتشبيه، والمعنى: كما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح المنكر زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر ومتابعة الشهوات(١).

وجملة: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تذييل يَعُمَّ ما تقدم وغيره، أي هكذا التزيين الشيطاني زين لهم ما كانوا يعملون من أعمالهم في ماضي أزمانهم في الدعاء وغيره في ضلالاتهم(٢).

٣ـ كيفية الدعـاء:

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

أمرهم الله أن يدعوه، وبين لهم الحال التي يدعون عليها، ليستجيب لهم، فيكون الدعاء تذللا وخشوعاً وسراً لا جهراً، ونهاهم عن الاعتداء في الدعاء(٣).

قال الزمخشري: «(المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره»(٤).

«الخطاب بــ (ادعوا) خاص بالمسلمين؛ لأنه تعليم لأدب دعاء الله تعالى وعبادته.

(١) تفسير الفخر الرازي ١٥/ ٣٠١.
(٢) التحرير والتنوير ١١/ ١١٢.
(٣) أيسر التفاسير ٢/ ٣٢.
(٤) الكشاف ٢/ ٨٧.

وجيء لتعريف (الرب) بطريق الإضافة دون ضمير الغائب، مع وجد معاد قريب في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ودون ضمير المتكلم؛ لأن في لفظ الرب إشعارًا بتقريب المؤمنين بصلة المربوبية، وليتوسل بإضافة الرب إلى ضمير المخاطبين إلى تشريف المؤمنين وعناية الرب بهم».

وجملة: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ واقعة موقع التعليل للأمر بالدعاء، إشارة إلى إنه أمر تكريم للمسلمين يتضمن رضا الله عنهم، ولكن سلك في التعليل طريق إثبات الشيء بإبطال ضدِّه تنبيها على قصد الأمرين وإيجازاً في الكلام.

ولكون الجملة واقعة موقع التعليل افتتحت بـــ (إنَّ) المفيدة لمجرد الاهتمام، بقرينة خُلُوِّ المخاطبين عن التردد في هذا الخبر، ومن شأن (إنَّ) إذا جاءت على هذا الوجه أن تفيد التعليل والربط وتقوم مقام الفاء، كما نبه عليه الشيخ عبد القاهر(١).

والأمر في قوله (ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ) يبين أن من شرط صحة الدعاء أن يكون مقرونا بالتضرع وبالإخفاء(٢)، لذلك أمرهم به على سبيل الإرشاد.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

نهاهم عن الفساد في الأرض بعد أن أصلحها تعالى، ومرة أخرى يحضهم على دعائه، فقال: (ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ) أي سلوه حاجاتكم حال كونكم في دعائكم خائفين من عقابه طامعين راجين رحمته، وبين لهم أن رحمته قريب من المحسنين الذين يحسنون نياتهم وأعمالهم ومن ذلك الدعاء(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١٧١.
(٢) تفسير الفخر الرازي ١٣/ ١٤٣.
(٣) أيسر التفاسير ٢/ ٣٢ بتصرف.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾.

الاهتمام بدرء الفساد كان مقاماً هنا مقتضياً التعجيل بهذا النهي مُعترضاً بين جملتي الأمر بالدعاء.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، عَوْدُ إلى أمر الدعاء لأن ما قبله من النهي عن الإفساد أشبه الاحتراس المعترض بين أجزاء الكلام.

وأعيد الأمرُ بالدعاء ليبنى عليه قوله: (خَوْفًا وَطَمَعًاۚ) قصداً لتعليم الباعث على الدعاء بعد أن علموا كيفيته في قوله: (ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)، الواو للتقسيم للدعاء بأنه يكون على نوعين، فالخوف من غضبه وعقابه، والطمع في رضاه وثوابه، والدعاء لأجل الخوف نحو الدعاء بالمغفرة، والدعاء لأجل الطمع نحو الدعاء بالتوفيق وبالرحمة، وقد شمل (الخوف والطمع) جميع ما تتعلق به أغراض المسلمين نحو ربهم في عاجلهم وآجلهم ليدعوا الله بأن ييسر لهم أسباب حصول ما يطمعون[١]، وأن يُجَنِّبَهُمْ أسباب حصول ما يخافون، وهذا يقتضي توجُّه همتهم إلى اجتناب المنهيِّات لأجل خوفهم من العقاب، وإلى امتثال المأمورات لأجل الطمع في الثواب، فلا جرم أنه اقتضى الأمر بالإحسان وهو أن يعبدوا الله عبادة من هو حاضر بين يديه فيستحي من أن يعصيه، فالتقدير: وادعوه خوفا وطمعا وأحسنوا بقرينة تعقيبه بقوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وهذا إيجاز[٢].

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١٧٣.
(٢) التحرير والتنوير ٨/ ١٧٦.

والأمر في قوله: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ يوضح سبيلا ثانيا للدعاء، وهو بيان أن فائدة الدعاء ومنفعته هي في الخوف والطمع.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

«لقائل أن يقول مقتضى علم الإعراب أن يقال: إن رحمة الله قريبة من المحسنين، فما السبب في حذف علامة التأنيث؟ ذكروا في الجواب عنه وجوها[١]. منها:

إنما ذكر (قَرِيبٌ) على تأويل (الرحمة) بالرحم أو الترحم.

أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي شيء قريب[٢]، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي وما كان كذلك فإنه يجوز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة، أو أن الرحمة مصدر، وحق المصدر التذكير[٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

إذن من الذي يحدد قرب الرحمة منه؛ إنه الإنسان فإذا أحسن قربت منه الرحمة والزمام في يد الإنسان، فإن كنت تريد أن تقرب منك رحمة الله فعليك بالإحسان[٤].

وكثر في القرآن أخذ الكلمات الموضوعة للأمور المحسوسة، يدل بها على معقول معنوي، يصير به كأنه ملموس مرئي، فضلا عن إيحاءات الكلمة إلى النفس[٥] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، فجعل

(١) تفسير الفخر الرازي ١٣/ ١٤٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٨٧.
(٣) تفسير الشعراوي ٥٢/ ٤١٨٤ بتصرف.
(٤) انظر المرجع السابق ٥٢/ ٤١٨٢.
(٥) التعبير الفني في القرآن الكريم ٢٠٣.

الرحمة وكأنها شيء يمشي ويقترب من المحسنين، فكلما ازداد الإنسان إحسانا اقتربت منه الرحمة.

قال ابن عاشور: والقرب حقيقته: دنو المكان وتجاوره، ويطلق على (الرجاء) مجازا يقال: هذا قريب، أي ممكن مرجُوٌّ[١].

وجملة: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ واقعة موقع التفريع على جملة (وادعوه)، فلذلك قرئت بـــ (إنَّ) الدالة على التوكيد، وهو لمجرد الاهتمام بالخبر إذ ليس المخاطبون بمترددين في مضمون الخبر، ومن شأن (إنَّ) إذا جاءت على هذا الوجه أن تفيد التعليل وربط مضمون جملتها بمضمون الجملة التي قبلها، فتغني عن فاء التفريع، ولذلك فصلت الجملة عن التي قبلها فلم تعطف لإغناء إن عن العاطف[٢].

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

أي قل لهم يا نبينا: ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، فالله هو الرحمن الرحيم، فـــ (أيا ما تدعوا) منهما: الله أو الرحمن، فهو الله ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا[٣].

"والمعنى: أيا ما تدعوا فهو حسن، فوضع موضعه قوله: (فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ) لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها"[٤].

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١٧٧.
(٢) المرجع السابق ٨/ ١٧٦.
(٣) أيسر التفاسير ٢/ ٦٣٢.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٤٦.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ أسلوب الأمر في الآية الكريمة الغرض منه التسوية بين الاسمين المذكورين، و(أو) للتخيير، والمعنى: سموا بهذا الاسم أو بهذا، واذكروا إما هذا وإما هذا"[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠] أي وسطا بين السر والجهر[٢]، فالآية كناية عن الوسطية، والتضاد بين قوله (ولا تجهر، ولا تخافت) يؤكد ذلك المعنى ويقويه.

قال الزمخشري: وابتغاء السبيل: مَثَلٌ لانتحاء الوجه الوسط[٣].

قال السيوطي: أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرَّح به، وكامن[٤] لا ذكر للمثل فيه.

وقد عدّ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ من الأمثال الكامنة[٥].

قوله (بِصَلَاتِكَ) بقراءة صلاتك على حذف المضاف؛ لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار، وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته، وقيل (بِصَلَاتِكَ) بدعائك[٦].

---

(١) المرجع السابق ٢/٥٤٦.
(٢) أيسر التفاسير ٢/٦٣٢.
(٣) الكشاف ٢/٥٤٧.
(٤) الأمثال الكامنة: يقصدون بها أن القرآن لا يصرح بأنها أمثال ضربت لحادثة معينة، وإنما دلَّ مضمونها على معنى يشبه مثلا من أمثال العرب المعروفة أي أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها. التعبير الفني في القرآن الكريم ٢٣٩.
(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ١٠٤٢ – ١٠٤٥.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٤٧.

وروي مسلم عن عائشة في قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ ﴾ قال: أنزل هذا في الدعاء[١].

قال القرطبي: وقوله عز وجل ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ عبّر تعالى (بالصلاة) هنا عن (القراءة) كما عبر (بالقراءة) عن (الصلاة) في قوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ لأن كل واحد منهما مرتبط بالآخر؛ لأن الصلاة تشتمل على قراءة وركوع وسجود فهي من جملة أجزائها؛ فعبر بالجزء عن الجملة وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير؛ ومنه الحديث الصحيح: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي) أي قراءة الفاتحة على ما تقدم[٢].

فكلمة (الصلاة) مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث أطلق الكل وهو (الصلاة) وأراد الجزء وهو القراءة؛ لأن قراءة القرآن جزء من الصلاة.

❁❁❁❁❁❁❁

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٤.
(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٣٤٤.

الفصل الثاني

المأثور من الدعاء

١ – الدعاء في سورة الفاتحة:

قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١ – ٢].

نحن نبدأ تلاوة القرآن الكريم بـ (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) لنتذكر دائما أبواب الرحمة المفتوحة لنا.. نرفع أيدينا إلى السماء ونقول: يا رب رحمتك... تجاوز عن ذنوبنا وسيئاتنا، وبذلك يظل قارئ القرآن متصلا بأبواب رحمة الله.. كلما ابتعد عن المنهج أسرع ليعود إليه.. فمادام الله رحمانا ورحيما لا تغلق أبواب الرحمة أبدا على أننا نلاحظ أن (الرحمن والرحيم) من صيغ المبالغة، يقال: راحم ورحمن ورحيم.. إذا قيل راحم فيه صفة الرحمة، وإذا قيل رحمن تكون مبالغة في الصفة، وإذا قيل: (رحيم) تكون مبالغة في الصفة، والله سبحانه وتعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة.

رحمن في الدنيا لكثرة عدد الذين يشملهم الله سبحانه وتعالى برحمته، فرحمة الله في الدنيا تشمل المؤمن والعاصي والكافر يعطيهم الله مقومات حياتهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم، يرزق من آمن به ومن لم يؤمن به؛ إذن عدد الذين تشملهم رحمة الله في الدنيا هم كل خلقه بصرف النظر عن إيمانهم أو عدم إيمانهم، ولكن في الآخرة الله رحيم بالمؤمنين فقط، فالكفار والمشركون مطرودون من رحمة الله، إذن الذين تشملهم رحمة الله في الآخرة أقل عددا من الذين تشملهم رحمة الله في الدنيا.. فمن أين تأتي المبالغة؟

تأتي المبالغة في العطاء وفي الخلود في العطاء، فنعم الله في الآخرة أكبر كثيرا منها في الدنيا، فالمبالغة هنا بكثرة النعم وخلودها، فكأن المبالغة في الدنيا

بعمومية العطاء والمبالغة في الآخرة بخصوصية العطاء للمؤمن وكثرة النعم والخلود فيها(١).

ومتعلق المجرور في (بِسۡمِ ٱللَّهِ) محذوف تقديره هنا (اقرأ)، وسبب حذف متعلق المجرور أن البسملة سنت عند ابتداء الأعمال الصالحة، فحُذوف مُتَعلِّق المجرور فيها حذفاً ملتزماً إيجازاً اعتماداً على القرينة(٢).

قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢] يخبر تعالى: أن جميع أنواع المحامد من صفات الجلال والكمال هي له وحده دون من سواه، إذ هو رب كل شيء وخالقه ومالكه، وأن علينا أن نحمده ونثني عليه(٣)، لأن اللفظ خبر ومعناه الأنشاء، أي قولوا: الحمد لله. وحذف كلمة "قولوا" إيجاز بالحذف"، فالله محمود لذاته ومحمود لصفاته، ومحمود لنعمه، ومحمود لرحمته، ومحمود لمنهجه، ومحمود لقضائه، ومن رحمة الله سبحانه أنه جعل الشكر في كلمتين اثنتين هما: الحمد لله(٤).

(ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) مقترنة برب العالمين الذي أوجدك من عدم، وأمدك بنعم لا تعد ولا تحصى، أنت تحمده على هذه النعم التي أخذتها برحمة الله سبحانه وتعالى في ربوبيته.

والله سبحانه رب للمؤمن والكافر، فهو الذي استدعاهم جميعا إلى الوجود، لذلك فإنه يعطيهم من النعم برحمته، وليس بما يستحقون(٥).

---

(١) انظر تفسير الشعراوي ١/ ٤٦.
(٢) التحرير والتنوير ١/ ١٤٩.
(٣) أيسر التفاسير ١/ ١٣.
(٤) تفسير الشعراوي ١/ ٥٠.
(٥) المرجع السابق ١/ ٥١.

فالله سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾.. (الله) غيب، (ورب العالمين) غيب، (والرحمن الرحيم) غيب (ومالك يوم الدين) غيب، وكان السياق اللغوي يقتضي أن يقال: إياه نعبد، ولكن الله سبحانه وتعالى غيَّر السياق ونقله من الغائب إلى الحاضر، وقال: (إياك نعبد) فانتقل الغيب إلى حضور المخاطب.. فلم يقل: إياه نعبد، ولكنه قال: "إياك نعبد" فأصبحت رؤية يقين إيماني"[١].

فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب لأن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب[٢].

قال الزمخشري: فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات[٣] في علم البيان[٤] وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب[٥]، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ [فاطر: ٩] فالكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم

---

(١) تفسير الشعراوي ١/ ٧٣.
(٢) تفسير أبي السعود ١/ ١٦.
(٣) الالتفات: هو الانتقال بالأسلوب من صيغة المتكلم أو المخاطب أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ، بغية الإيضاح ١/١٥٤.
(٤) ويُسَمَّي هذا النقل – التفاتا – عند علماء المعاني، بغية الإيضاح ١/ ١٥٤.
(٥) كما في قوله تعالى: (مالك يوم الدين، إياك نعبد) الفاتحة ٤، ٥.

بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذاك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به"[١].

وذكر الفخر الرازي فوائد أخرى منها:

١ – أن من أول السورة إلى قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) ثناء، والثناء في الغيبة أولى، ومن قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور أولى.

٢ – العبد لما شرع في الصلاة قال: نويت أن أصلي تقربا إلى الله فينوي حصول القربة، ثم إنه ذكر بعد هذه النية أنواعاً من الثناء على الله، فاقتضى كرم الله إجابته في تحصيل تلك القربة، فنقله من مقام الغيبة إلى مقام الحضور، فقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ أي نخصك بالعبادة والاستعانة، فلا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، فقد قدم المفعول به (إياك) على الفعلين (نعبد ونستعين) ليفيد قصر العبادة والاستعانة على الله من قصر الصفة على الموصوف.

قال الشيخ الشعراوي: الحق سبحانه وتعالى حين قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ قصر العبادة على ذاته الكريمة، لأنه لو قال نعبدك وحدك فهي لا تؤدي نفس المعنى؛ لأنك قد تقول نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا، ولكن إذا قلت: ﴿ إِيَّاكَ

(١) الكشاف ١/ ١٢.
(٢) مفاتيح الغيب ١/ ٣٠٨.

نَعۡبُدُ﴾ وقدمت إياك تقوم قد حسمت الأمر بأن العبادة لله وحده، فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ تنفي العبودية لغير الله أي لا نعبد غير الله ولا يعطف عليها أبدا، إذن ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ أعطت تخصيص العبادة لله وحده لا إله غيره ولا معبود سواه.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ أي لا نعبد سواك ولا نستعين إلا بك"[١]، فقدم المفعول (إياك) على الفعل لإفادة التخصيص.

والسر في تكرار (إياك) الاهتمام بتقرير مضمون كل من الجملتين، فالأولى تفيد التبرؤ من الشرك، وقصر العبادة عليه تعالى، و الثانية: تفيد التبرؤ من الحول والقوة، وقصر الاستعانة عليه تعالى، ولو لم تتكرر في هذه الآية لأوهم عدم تكرارها أن المقصور عليه في هذه الآية هو العبادة وحدها – بمعنى أنه لا يعبد سواه، في حين أنه يستعان به وبسواه، فكان التكرار دافعًا لهذا التوهم[٢].

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟ الجواب: ليجمع بين ما يتقرّب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته[٣].

والعطف في الآية الكريمة بتقديم السبب على المسبب يشير إلى مغزى وهدف وهو تقديم العبادة على الاستعانة، تقديم للوسيلة قبل طلب الحاجة، وذلك أنجح في توقع حصولها[٤].

قال الزمخشري: فإن قلت: فلم قدمت العبادة على الاستعانة؟

الجواب: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها[٥].

---

(١) تفسير الشعراوي ١/ ٧٤ – ٧٩.
(٢) معاني التراكيب د. عبد الفتاح لاشين ٢/ ٤٣.
(٣) الكشاف ١/١٢.
(٤) معاني التراكيب ٢/ ١٣٥.
(٥) الكشاف ١/ ١٢.

"فقد علَّمنا الله تعالى كيف نتوسل إليه في قبول دعائنا فقال: احمدوا الله، وأثنوا عليه ومجدوه، والتزموا له بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به وتستعينوه ولا تستعينوا بغيره.

ومن هداية هذه الآية ما يلي:

آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده، وزادت السنة الصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له(١).

"من رحمة الله تبارك وتعالى أنه علمنا ما نطلب، وهذا يستوجب الحمد لله وأول ما يطلب المؤمن هو الهداية والصراط المستقيم(٢).

"اهدنا الصراط المستقيم" اهدني إلى طريق أخرج منه إلى الجنة، والمستقيم: السَّوِيَّ الذي (لا غلط فيه)(٣).

وقوله: (اهدنا) عن علي وأُبيّ رضي الله عنهما: اهدنا ثبتنا، وصيغة الأمر والدعاء واحدة، لأن كل واحد منها طلب، وإنما يتفاوتان في الرتبة(٤).

لقائل أن يقول: لم قال اهدنا ولم يقل اهدني؟ والجواب من وجوه:

١- أن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب.

٢- قال رسول الله ﷺ: ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها، قالوا: يا رسول الله ومن لنا بتلك الألسنة؟ قال يدعو بعضكم لبعض؛ لأنك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك.

---

(١) أيسر التفاسير ١/١٤.
(٢) تفسير الشعراوي ١/٨٠.
(٣) مفاتيح الغيب ١/٣١٢.
(٤) الكشاف ١/١٢.

٣-كأنه يقول: أيها العبد، ألست قلت في أول السورة الحمدُ لله وما قلت: أحْمدُ الله فذكرت أولاً حَمْدَ جميع الحامدين، فكذلك في وقت الدعاء أشركهم فقال (اهدنا)[١].

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ما معنى (ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ)؟.

اقرأ الآية الكريمة: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ [النساء: ٦٩].

وأنت حين تقرأ الآية الكريمة فأنت تطلب من الله تبارك وتعالى أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، أي أنك تطلب من الله جل جلاله أن يجعلك تسلك نفس الطريق الذي سلكه هؤلاء لتكون معهم في الآخرة، فكأنك تطلب الدرجة العالية في الجنة[٢].

وقال: (الصراط) ولم يقل: (السبيل) ولا (الطريق) وإن كان الكل واحداً ليكون لفظ الصراط مُذكِّراً لصراط جهنم، فيكون الإنسان على مزيد خوف وخشية[٣].

وقوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بدل من (الصراط المستقيم) وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، فما فائدة البدل؟ وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ فائدته التوكيد

(١) مفاتيح الغيب ١/ ٣١٣.
(٢) تفسير الشعراوي ١/ ٨٣، انظر تفسير أبي السعود ١/ ١٨.
(٣) مفاتيح الغيب ١/ ٣١٢.

لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده[١].

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من الذين أنعمت عليهم، على معنى: أن المنعم عليهم: هم الذين سلموا من غضب الله والضلال[٢]، وكلمة (آمين) معناها استجب يا رب فيما دعوناك به، فهي دعاء لتحقيق المطلوب، وهي من كلام جبريل لرسول الله ﷺ وليست كلمة من القرآن[٣].

❁❁❁❁❁❁

٢ – الدعاء عند الفراغ من أعمال الحج:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠٢].

والمعنى: إذا فرغتم من أعمال الحج فأكثروا من ذكر الله، وكان الناس بعد قضاء المناسك يسألون الله، ولم يكن في بالهم إلا الأمور المادية، فبين تعالى حالهم وهي أن منهم من همه الدنيا فهو لا يسأل الله تعالى إلا ما يهمه منها،

(١) الكشاف ١/ ١٣، انظر تفسير أبي السعود ١/ ١٨.
(٢) الكشاف ١/ ١٣.
(٣) تفسير الشعراوي ١/ ٨٦.

وهذا كان عليه أكثر الحجاج في الجاهلية، وان منهم من يسأل الله تعالى خير الدنيا والآخرة وهم المؤمنون الموحدون فيقولون: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ وهذا متضمن تعليم المؤمنين وإرشادهم إلى هذا الدعاء الجامع والقصد الصالح النافع فلله الحمد والمنة.

ثم أخبر تعالى أن لأهل الدعاء الصالح وهم المؤمنون الموحدون نصيباً من الأجر على أعمالهم التي كسبوها في الدنيا وهو تعالى سريع الحساب فيعمل لهم تقديم الثواب وهو الجنة(١).

وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ تشبيه تمثيلي، والمعنى: وأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخركم وأيامكم، وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم(٢).

والمراد تشبيه ذكر الله بذكر آبائهم في الكثرة والتكريم وتعمير أوقات الفراغ به، وليس فيه ما يُؤْذِنُ بالجمع بين ذكر الله وذكر الآباء، فالمراد من التشبيه أولا إظهار أن الله حقيق بالذكر هنالك مثل آبائهم، ثم بين أن ذكر الله يكون أشد لأنه أحق بالذكر(٣).

---

(١) أيسر التفاسير ١/ ١٨١/ ١٨٣.
(٢) الكشاف ١/ ١٨٨.
(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٢٤٥.

وقوله: ﴿ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۚ﴾ معناه: بل أشد ذكراً، وذلك لأن مفاخر آبائهم القليلة لا تقارن بنعم الله وآلائه، فيجب أن يكون اشتغالهم بذكر صفات الكمال في حق الله تعالى أشد من اشتغالهم بذكر مفاخر آبائهم"[١].

ثم بيَّن بعد ذلك الذكر كيفية الدعاء فقال تعالى: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾، وما أحسن هذا الترتيب، فإنه لابد من تقديم العبادة لكسر النفس وإزالة ظلماتها ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ ﴾، ثم بعد العبادة لابد من الاشتغال بذكر الله تعالى لتنوير القلب وتجلي نور جلاله (فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ) ثم بعد ذلك الذكر يشتغل الرجل بالدعاء، فإن الدعاء إنما يكمل إذا كان مسبوقا بالذكر[٢].

وقوله (فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ) تفصيل للذاكرين فبيّن الله تعالى أن الذين يدعون الله فريقان: أحدهما: الذين يكون دعاؤهم مقصوراً على طلب الدنيا، وثانيهما: الذين يجمعون في الدعاء بين طلب الدنيا وطلب الآخرة[٣].

فكان في الكلام تقدير كأنه قيل: فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وادعوه، ثم أريد تفصيل الداعين للتنبيه على تفاوت الذين تجمعهم تلك المناسك، (فمن الناس من يقول ... إلخ).

وقوله تعالى: (رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا) حذف مفعول (آتنا) من الكلام لأنه[٤] كالمعلوم، فالناس تريد في الدنيا الصحة والمال، والجاه، والولد وغيره... إلخ، وحذف المفعول في (آتنا) كان لغاية بلاغية رائعة؛ ليجعل كل شيء يمكن أن

(١) مفاتيح الغيب ٣/ ٢١٣ بتصرف.
(٢) انظر المرجع السابق ٣/ ٢١٤.
(٣) انظر تفسير أبي السعود ١/ ٢٠٩، مفاتيح الغيب ٣/ ٢١٥.
(٤) التحرير والتنوير ٢/٢٤٧.

يطلبه الإنسان أو يتمناه في الدنيا داخلا في هذا السياق ومحتملا لأن يكون من مفعول (آتنا)[١].

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ كناية عن جميع مطالب الدنيا والآخرة.

ومعنى (الحسنة): قيل الحسنة في الدنيا: عبارة عن الصحة، والأمن، والكفاية، والولد الصالح، والحسنة في الآخرة: الجنة، وقيل: الحسنة في الدنيا وفي الآخرة طلب العافية في الدارين[٢].

وفيها من المحسنات البديعية مقابلة توضح المعنى وتقويه، حيث قابل بين الخيرين خير الدنيا وخير الآخرة.

ووقوع حسنة في سياق: الدعاء يفيد العموم، لأن الدعاء يقصد به العموم، وإنما زاد في الدعاء (وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)؛ لأن حصول الحسنة في الآخرة قد يكون بعد عذاب ما، فأريد التصريح في الدعاء بطلب الوقاية من النار[٣].

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ إشارة إلى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة، والإشارة إلى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل[٤].

وهذا وعد من الله تعالى بإجابة دعاء المسلمين الداعين في تلك المواقف المباركة إلا أنه وعد بإجابة شيء مما دعوا به بحسب ما تقتضيه أحوالهم وحكمة الله تعالى[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/ ٢١٦.
(٢) المرجع السابق ٣/ ٢١٧ بتصرف.
(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٢٤٨.
(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٢١٠، انظر التحرير والتنوير ٢/ ٢٤٨.
(٥) التحرير والتنوير ٢/٢٤٩.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ تذييل قصد به تحقيق الوعد بحصول الإجابة، وزيادة تبشير لأهل ذلك الموقف؛ لأنه إجابة الدعاء فيه سريعة الحصول، فعلم أن الحساب هنا أطلق على مراعاة العمل والجزاء عليه(١).

❁❁❁❁❁❁❁

٣ـ خواتيم سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥ – ٢٨٦].

اعلم أنه تعالى حكى عن المؤمنين دعاءهم، وذلك لأنه ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة»؛ لأن الداعي يشاهد نفسه في مقام الفقر والحاجة والذل والمسكنة ويشاهد جلال الله تعالى وكرمه وعزته وعظمته ينعت الاستغناء والتعالي، وهو المقصود من جميع العبادات والطاعات، فلهذا السبب ختم هذه السورة الشريفة (البقرة) المشتملة على هذه العلوم العظيمة بالدعاء والتضرع إلى الله(٢).

(١) المرجع السابق ٢/٢٤٩.
(٢) مفاتيح الغيب ٤/ ٥٤.

وقوله تعالى: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ)، وقوله (والمؤمنون) معطوف على الرسول ﷺ، والمؤمنون: هنا لقب للذين استجابوا لرسول الله ﷺ، وقوله: (كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ) جمع بعد التفصيل، وكذلك شأن (كل) إذا جاءت بعد ذكر متعدد في حكم، ثم إرادة جمعه في ذلك.

وبين قوله (آمن – والمؤمنون) جناس اشتقاق.

وقوله: (لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ) قرأه الجمهور بنون المتكلم المشارك، وهو يحتمل الالتفات: بأن يكون من مقول قول محذوف دل عليه السياق، وعطف (قالوا) عليه، وقيل: هو مقول لقول محذوف دل عليه (آمن) لأن الإيمان اعتقاد وقول(١).

وقوله (غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا) أي اغفر لنا غفرانك، أو تسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة، وتقديم (السمع والطاعة)(٢). على طلب الغفران، لم أنَّ تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول، والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة(٣). إليهم للمبالغة في التضرع(٤).

(وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ) عطف على (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ) والسمع هنا كناية عن الرضا والقبول، والامتثال، وإنما جيء بلفظ الماضي دون المضارع، ليدلوا على رسوخ ذلك لأنهم أرادوا إنشاء القبول والرضا، وصيغ العقود ونحوها تقع بلفظ الماضي نحو بعت (وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ) تقديم المجرور لإفادة الحصر: أي المصير إليك

(١) انظر التحرير والتنوير ٣/ ١٣٢ – ١٣٣.
(٢) في قوله تعالى: (وقالوا سمعنا وأطعنا).
(٣) في قوله تعالى: (ربنا).
(٤) تفسير أبي السعود ١/ ٢٧٦.

لا إلى غيرك، وهو قصر حقيقي قصدوا به لازم فائدته، وهو أنهم عالمون بأنهم صائرون إليه، ولا يصيرون إلى غيره ممن يعبدهم أهل الضلال[١].

(وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ) أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك، وهو تذييل لما قبله مقرَّرٌ للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء[٢].

قوله: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ) الأظهر أنه من كلام الله تعالى، لا من حكاية كلام الرسول والمؤمنين، فيكون اعتراضا بين الجمل المحكية بالقول، وفائدته إظهار ثمرة الإيمان والتسليم، والطاعة، فأعلمهم الله بأنه لم يجعل عليهم في هذا الدين التكليف بما فيه مشقة[٣].

وقوله: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ)، حال من (نفسا) لبيان كيفية الوسع الذي كلفت به النفس، وهو إن جاءت بخير كان نفعه لها، وإن جاءت بشر كان ضرُّه عليها، وهذا التقسيم حاصل من التعليق بواسطة اللام مرة وبواسطة (على) أخرى.

وبين قوله (كسبت، واكتسبت) طباق معنوي؛ لأن كسبت في الخير واكتسبت في الشر، وتقديم المجرورين في الآية (لها، وعليها) لقصد الاختصاص، أي لا يلحق غيرها شيء ولا يلحقها شيء من فعل غيرها[٤].

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣/ ١٣٣.
(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٢٧٦.
(٣) التحرير والتنوير ٣/ ١٣٤.
(٤) انظر التحرير والتنوير ٣/ ١٣٧ – ١٣٨.

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الله سبحانه وتعالى حكى عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء، وذكر في مطلع كل واحد منها قوله تعالى (ربنا) إلا في النوع الرابع من الدعاء فإنه حذف هذه الكلمة عنها[١]. وهو قوله تعالى: (وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا).

الأول قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ) يجوز أن يكون هذا الدعاء محكيا من قول المؤمنين الذين قالوا: (سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا) [البقرة ٢٨٥]، ويجوز أن يكون تلقينا من جانب الله تعالى إياهم بأن يقولوا هذا الدعاء مثل ما لقنوا التحميد في سورة الفاتحة فيكون التقدير قولوا: (ربنا لا تؤاخذنا...) إلى آخر السورة[٢]. فيكون من الإيجاز بالحذف.

والمفاعلة فيه للمبالغة أي لا تأخذنا بالنسيان والخطأ.

الثاني: من الدعاء قوله تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا)، فصل بين الجملتين المتعاطفتين بإعادة النداء مع أنه مُسْتَغْنًى عنه؛ لأن مخاطبة المنادى مغنية عن إعادة النداء، لكن قصد من إعادته وتوسيطه بينهما إظهار التذلُّل، وإبراز مزيد الضراعة[٣]، (والحمل) مجاز في التكليف بأمر شديد يثقل على النفس، وهو مناسب لاستعارة الإصر، وأصل

(١) انظر مفاتيح الغيب ٤/ ٥٤.
(٢) التحرير والتنوير ٣/ ١٤٠.
(٣) انظر التحرير والتنوير ٣/ ١٤٠، انظر تفسير أبي السعود ١/ ٢٧٦.

معنى الإصر: ما يؤصر به أي يربط وتعقد به الأشياء، ويقال له: الإصار – بكسر الهمزة – ثم استعمل مجازا في العهد والميثاق المؤكد فيما يصعب الوفاء به، وحسنت استعارة الحمل للتكليف؛ لأن الحمل يناسب الثقل فيكون قوله: (وَلَا تَحۡمِلۡ) ترشيحا مستعارا لملائم المشبه به[١].

وقوله: (كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا) في حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي حملا مثل حملك إياه على من قبلنا[٢]..

النوع الثالث من دعاء المؤمنين قوله تعالى: (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ) والمعنى: أي ولا تحملنا ما لا قدرة لنا عليه من التكاليف.

"والله تعالى حكى عن المؤمنين هذه الأدعية بصيغة الجمع، والفائدة في هذه الجمعية وقت الدعاء وبيان أن قبول الدعاء عند الاجتماع أكمل، وذلك لأن للهم تأثيرات فإذا اجتمعت الأرواح والدواعي على شيء واحد كان حصوله أكمل"[٣].

وقوله تعالى: (وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ).

تلك الأنواع الثلاثة من الأدعية كان المطلوب فيها الترك، وكانت مقرونة بلفظ (ربنا) وأما هذا الدعاء الرابع فقد حذف منه لفظ (ربنا) وظاهره يدل على طلب الفعل فما السبب في الحذف؟

---

(١) التحرير بالتنوير ٣/ ١٤٠.
(٢) تفسير أبي السعود ١/٢٧٦.
(٣) مفاتيح الغيب ٧/ ٢٦١.

والجواب: أن النداء إنما يحتاج إليه عند البعد، أما عند القرب فلا، وإنما حذف النداء إشعارا بأن العبد إذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى، وهذا سر عظيم يطلع منه على أسرار أُخر(١).

قال ابن عاشور: وقوله تعالى: (واعف عنا...إلخ) لم يؤت مع هذه الدعوات بقوله (ربنا) إما لأنه تكرر ثلاث مرات والعرب تكره تكرر اللفظ أكثر من ثلاث مرات إلا في مقام التهويل، وإما لأن تلك الدعوات المقترنة بقوله (ربنا) فروع لهذه الدعوات الثلاث، فإذا استجيبت تلك حصلت إجابة هذه بالأولى فإن العفو أصل لعدم المؤاخذة، والمغفرة أصل لرفع المشقة، والرحمة أصل لعدم العقوبة الدنيوية والأخروية، فلما كان تعميما بعد تخصيص كان كأنه دعاءٌ واحد(٢).

وقوله تعالى: (أَنتَ مَوْلَـٰنَا) فصله لأنه كالعلة للدعوات الماضية: أي دعوناك ورجونا منك ذلك لأنك مولانا(٣)، فهذه الكلمة تدل على نهاية الخضوع والتذلل والاعتراف بأنه سبحانه هو المتولي لكل نعمة يصلون إليها، والمعطي لكل مكرمة يفوزون بها، فهو سبحانه قيوم السماوات والأرض(٤).

ما الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة؟

العفو: أن يسقط عنه العقاب، والمغفرة أن يستر عليه جرمه صونا له من عذاب التخجيل والفضيحة، كان العبد يقول: أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي(٥)، والرحمة هي الدعاء بألا يدخلنا في الذنب أصلا(٦).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٧/٦١.
(٢) التحرير والتنوير ٣/ ١٤٢.
(٣) التحرر والتنوير ٣/ ١٤٢.
(٤) مفاتيح الغيب ٧/ ٦٢.
(٥) المرجع السابق ٧/ ٦١.
(٦) تفسير الشعراوي ١٦/ ١٢٦٣.

قوله: (فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ) جيء فيه بالفاء للتفريع عن كونه مَوْلًى؛ لان شأن المولى أن ينصر مولاه، وفي التفريع بالفاء إيذانٌ بتأكيد طلب إجابة الدعاء بالنصر؛ لأنهم جعلوه مرتباً على وصف محقق، وهو ولاية الله تعالى المؤمنين، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وفي الصحيح عن أبي مسعود الأنصاريِّ البدريِّ: أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(١).

وهما من قوله تعالى: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ) إلى آخر السورة.

قيل معناه: كفتاه عن قيام الليل، فيكون معنى من قرأ من صلَّى بهما، وقيل معناه: كفتاه بَرَكَةً وتَعوُّذًا من الشياطين والمَضَارِّ، ولعل كلا الاحتمالين مراد(٢).

❁❁❁❁❁❁❁

٤ – **الراسخون في العلم**:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩ ﴾ [آل عمران: ٧ – ٩].

---

(١) انظر الكشاف ١/٣٥٥.
(٢) التحرير والتنوير ٣/ ١٤٢.

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

فكأن قول الراسخين في العلم: إن كل محكم وكل متشابه هو من عند الله، والمحكم نعمل به، والمتشابه نؤمن به، فهذه هي الهداية، ثم يكون الدعاء بالثبات على هذه الهداية، والمعنى: يارب ثبتنا على عبادتك ولا تجعل قلوبنا تميل أو تزيغ، وهذا يدلنا على أن القلوب تتحول وتتغير؛ لذلك يأتي القول الفصل بالدعاء على الثبات الإيماني(١).

وكما حكى الله تعالى عن الراسخين أنهم يقولون آمنا به حكى عنهم أنهم يقولون(٢): (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا)، وحذف (يقولون) لدلالة الأول(٣) عليه(٤)، فهو إيجاز بالحذف، حذف جملة (يقولون).

وقوله: (وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) إيجاز قصر:

فقوله: (رَحْمَةً) جاء شاملاً لجميع أنواع الرحمة، فأولها: أن يحصل في القلب نور الإيمان والتوحيد والمعرفة، وثانيها: أن يحصل في الجوارح والأعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة، وثالثها: أن يحصل له في الدنيا سهولة أسباب المعيشة من الأمن والصحة والكفاية، ورابعها: أن يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت، وخامسها: أن يحصل في القبر سهولة السؤال، وسهولة ظلمة

(١) تفسير الشعراوي ١٦/ ١٢٩٩.
(٢) انظر تفسير أبي السعود ٩/٢.
(٣) (يقولون) في الآية السابقة.
(٤) مفاتيح الغيب ٧/ ٩٩.

القبر، وسادسها: أن يحصل في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات وترجيح الحسنات، فقوله تعالى: (مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) يتناول جميع هذه الأقسام[١].

قوله: (وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً)، كلا الجارين متعلق بـــ (هَبْ)، و(رَحْمَةً) واسعة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك، أو توفيقا للثبات على الحق، و تأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر، فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده لاسيما عند الإشعار بكونه من المنافع، فإذا أورده يتمكن عندها فضل تمكن[٢].

والقصر في قوله: (إنك أنت الوهاب) للمبالغة، لأجل كمال الصفة فيه تعالى لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبأ به، وفي هذه الجملة تأكيد بأن وبالجملة الاسمية، وبطريق القصر[٣].

وقوله: (وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ)، بين (وهب والوهاب) رد العجز على الصدر، وهو لون من ألوان الجناس.

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩ ﴾ [آل عمران: ٩].

هذا الدعاء من بقية كلام الراسخين في العلم، وذلك لأنهم لما طلبوا من الله تعالى أن يصونهم عن الزيغ، وأن يخصهم بالهداية والرحمة، فكأنهم قالوا: ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فإنها منقضية منقرضة، وإنما الغرض الأعظم منه ما يتعلق بالآخرة[٤].

---

(١) المرجع السابق ٧/ ١٠٢.
(٢) انظر تفسير أبي السعود ٢/٩.
(٣) التحرير والتنوير ٣/ ١٧٠.
(٤) مفاتيح الغيب ٧/ ١٠٢.

قوله تعالى: (رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ) أي الحساب يوم أو الجزاء يوم، حذف المضاف وأقيم مُقامه المضاف إليه تهويلاً له وتفظيعًا لما يقع فيه[١].

وقيل: قوله تعالى: (رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ) تقديره: جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه[٢]، فحذف للإيجاز.

قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ).

تعليل لمضمون الجملة المؤكدة، أو لانتفاء الرَّيب[٣]، وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات؛ لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ عن ذكر اليوم المهيب الهائل[٤].

فالالتفات من الخطاب في قوله تعالى: (رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ) إلى الغيبة في قوله (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ).

❁❁❁❁❁❁❁

٥ – دعاء الأتقياء من الناس:

قال تعالى: ﴿ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٥ – ١٧].

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/٩.
(٢) مفاتيح الغيب ٧/ ١٠٣.
(٣) التحرير والتنوير ٣/ ١٧١.
(٤) تفسير أبي السعود ٢/ ٩.

والمعنى: أي قل يا محمد أأخبركم بخير مما زُيِّن للناس من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها الزائل؛ والاستفهام للتقرير، للمتقين يوم القيامة جناتٌ تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها، وأزواج مطهرة، ولهم مع ذلك النعيم رضوان من الله[١].

قوله تعالى: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ) استئناف بياني نشأ عن قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١٤] المُقْتَضي أن الكلام مسوقٌ مساق الغَضِّ من هذه الشهوات وافتتح الاستئناف بكلمة قل للاهتمام بالمقول، والمخاطب بقل[٢]، وإبهام (الخير) لتفخيم شأنه والتشويق إليه[٣].

وجملة: (لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ) مستأنفة وهي المبتدأ به، ويجوز أن يكون للذين اتقوا متعلق بقوله (خير) و(جنات) مبتدأ محذوف الخبر: أي لهم، أو خبر لمبتدأ محذوف[٤].

والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين[٥] لإظهار مزيد اللطف بهم[٦].

ووضع المظهر موضع المضمر في قوله تعالى: (وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ) حيث أظهر اسم الجلالة دون أن يقول ورضوان منه أي من ربهم لما في اسم الجلالة من الإيحاء إلى عظمة ذلك الرضوان[٧].

---

(١) انظر صفوة التفاسير ٣٠/ ١٨٩.
(٢) التحرير والتنوير ٣/ ١٨٣.
(٣) تفسير أبي السعود ٢/١٥.
(٤) التحرير والتنوير ٣/ ١٨٣، انظر تفسير أبي السعود ٢/١٥.
(٥) في قوله تعالى: (ربهم).
(٦) تفسير أبي السعود ٢/ ١٥.
(٧) انظر التحرير والتنوير ٣/ ١٨٤.

وقوله (مِّنَ ٱللَّهِ) متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة أي رضوان، وأيُّ رضوان[١].

ومن الإطناب قوله: (وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ) فالجملة اعتراض لبيان الوعد، أي أنه عليم بالذين اتقوا ومراتب تقواهم فهو يجازيهم، وإظهار اسم الجلالة في قوله: والله بصير بالعباد لقصد استقلال الجملة لتكون كالمثل[٢].

وقوله: (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا) في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل: مَنْ أولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية، فقيل: هم الذين... إلخ [٣].

فقوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ).

ذكر صفات المتقين، فذكر صفة الإيمان والخشية والضراعة والدعاء[٤].

فالله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا (رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا) ثم إنهم قالوا بعد ذلك (فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا) وذلك يدل على أنهم توسلوا بمجرد الإيمان إلى طلب المغفرة، والله تعالى حكى ذلك عنهم في معرض المدح لهم والثناء عليهم[٥].

وقوله: (الصابرين والصادقين) صفات (للذين اتقوا)[٦]. أو صفات (للذين يقولون)[٧]، والظاهر الأول.

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/١٦.
(٢) التحرير والتنوير ٣/ ١٨٤.
(٣) تفسير أبي السعود ٢/ ١٦.
(٤) أيسر التفاسير ١/٢٩٥.
(٥) مفاتيح الغيب ٧/١٢٧.
(٦) في الآية رقم ١٥.
(٧) في الآية رقم ١٦.

وذكر هنا أصول فضائل صفات المتديّنين: وهي الصبر: الذي هو ملاك فعل الطاعات وترك المعاصي، والصدق: الذي هو ملاك الاستقامة وبث الثقة بين أفراد الأمة، والقنوت: وهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها، وهي عبادة نفسية جسدية، والإنفاق: وهو أصل إقامة أود الأمة بكفاية حاج المحتاجين، وزاد الاستغفار بالأسحار: وهو الدعاء والصلاة المشتملة عليه في أواخر الليل(١).

وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى، والروح أجمع، والعبادة أشق فكانت أقرب إلى القبول(٢).

وقيل: هذه الخمسة إشارة إلى تعديد الصفات لموصوف واحد فكان الواجب حذف واو العطف كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، إلا أنه ذكر ههنا واو العطف، وأظن والعلم عند الله أن كل من كان معه واحد من هذه الخصال دخل تحت المدح واستوجب هذا الثواب الجزيل والله أعلم(٣).

❁❁❁❁❁❁

٦ – دعاء اتباع الرسل والأنبياء:

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى

(١) انظر: التحرير والتنوير ٣/ ١٨٥.
(٢) تفسير أبي السعود ٢/ ١٦.
(٣) مفاتيح الغيب ٧/ ١٣٠.

ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨].

(وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ) عبرة بما سلف من صبر اتباع الرسل والأنبياء عند إصابة أنبيائهم أو قتلهم في حرب أو غيره، لمماثلة الحالين، فالكلام تعريض بتشبيه حال (أصحاب أُحد) بحال أصحاب الأنبياء السالفين لأن محل المثل ليس هو خصوص الانهزام في الحرب بل ذلك هو المُمَثَّلُ.

وأما التشبيه فهو: بَصِير الأتباع عند حلول المصائب أو موت المتبوع[١].

(وكأين) كلمة بمعنى التكثير[٢]، وهي لفظة مركبة من كاف التشبيه، و(أي) حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا[٣].

(الربيون) جمع ربِّيٍّ وهو المتَّبِعُ لشريعة الرَّبِّ مثل الرَّبَّانِيِّ، والمراد بهم هنا أتباع الرسل وتلامذتهم، ومحل العبرة: هو ثبات الربانيين على الدين مع موت أنبيائهم ودعاتهم[٤].

وقول الحق (فَمَا وَهَنُواْ) أي ما ضعفوا، إذن فهو يريد أن يأتي بالأسوة، وكأنه سبحانه يقول: أنتم لماذا ضعفتم في موقفكم في غزوة أحد وأنتم تقاتلون مع رسول الله، لقد كان الأولى بكم أن يكون حماسكم في القتال معه أشد من حماس أي أتباع نبي مع نبيهم؛ لأن النبي الخاتم الذي سيضع المبدأ الذي ستقوم عليه الساعة، إن الحق يعطيهم المثل وفيه تعريض بهم وعتاب لهم[٥].

---

(١) التحرير والتنوير ٤/ ١١٦.
(٢) تفسير الشعراوي ٢٣/ ١٨١٥.
(٣) تفسير أبي السعود ٢/ ٩٥.
(٤) التحرير والتنوير ٤/ ١١٨.
(٥) تفسير الشعراوي ٢٣/ ١٨١٦.

(وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ) الإظهار في موضع الإضمار[١]. للثناء عليهم بحسن الصبر، والإشعار بعلة الحكم، والجملة تذييل لما قبلها[٢]، أي وكفى جزاء عن الصبر أن تكون محبوبا لله[٣].

قال تعالى: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا) انظر لكلمة النداء في (ربنا) كان يمكن أن يقولوا: يا الله، إنما جاءوا بكلمة (ربنا) لماذا؟

لأن الرب هو الذي يتولى التربية، فالأولى أن يقولوا: يارب، إذن قولهم: (ربنا) يعني أنت متولي أمورنا أنت الذي تربينا[٤].

(وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا) هذا القول: وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين، هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع، وأقرب إلى الاستجابة[٥].

(وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) أسلوب القصر في قوله: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ) قصر إضافي لرد اعتقاد من قد يتوهم أنهم قالوا أقوالا تنبئ عن الجَزَع، أو الهلع، أو الشَّكِّ في النصر، أو الاستسلام للكفار، وفي هذا القصر تعريض بالذين جزعوا من ضعفاء المسلمين أو المنافقين.

---

(١) لأن لفظ الجلالة سبق في قوله تعالى: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله).
(٢) تفسير أبي السعود ٢/٩٥.
(٣) تفسير الشعراوي ٢٣/ ١٨١٩.
(٤) المرجع السابق ٢٣/ ١٨١٩.
(٥) الكشاف ١/ ٣٢٧.

وقدم خبر (كان) على اسمها في قوله: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ) لأن المقصود حصر أقوالهم حينئذ في مقالة (ربنا اغفر لنا ذنوبنا)[١].

وقوله: (فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ) إعلام بتعجيل إجابة دعوتهم لحصول خير الدنيا والآخرة، فثواب الدنيا: هو الفتح والغنيمة، وثواب الآخرة: هو ما كتب لهم حينئذ من حسن عاقبة الآخرة[٢].

وهذا يوضح فضيلة الاشتغال بالذكر والدعاء عند المصائب والشدائد[٣].

«وخص ثواب الآخرة بالحسن: دلالة على فضله وتقدّمه، وأنه هو المعتدّ به عنده»[٤].

(وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) تذييل، أي يحب كل محسن، وموقع التذييل يدل على أن المتحدث عنهم هم من الذين أحسنوا، فاللام للجنس المفيد معنى الاستغراق[٥]، وإنما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للإشعار بأن ما حكي عنهم من الأفعال والأقوال من باب الإحسان[٦].

٧ – دعاء أولي الألباب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا

(١) انظر التحرير والتنوير ٤/ ١٢٠.
(٢) المرجع السابق ٤/ ١٢١.
(٣) أيسر التفاسير ١/٣٨٨.
(٤) الكشاف ١/ ٣٢٧.
(٥) التحرير والتنوير ٤/ ٢٢١.
(٦) تفسير أبي السعود ٢/٩٧.

مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

إن في خلق السماوات والأرض على ما بهما من إحكام وإبداع، وتعاقب الليل والنهار على الدوام، لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار(١)، وهم أصحاب العقول الكاملة.

وحرف (إنّ) للاهتمام بالخبر(٢)، وقوله (لآيات) اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها، والتنكير للتفخيم كَمًّا وكيْفًا أي لآيات كثيرة عظيمة(٣).

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. الذين يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم في جميع الأحوال، في حال (القيام والقعود والاضطجاع) وهذه الأحوال الثلاث لا رابع لها، وفي هذا استحباب ذكر الله في كل الأوقات وعلى أي هيئة يكون عليها الإنسان.

قال ابن عاشور: «ويذكرون الله: إما من الذكر اللساني وإما من الذكر القلبي وهو التفكر، وأراد بقوله: قياما وقعودا وعلى جنوبهم عموم الأحوال»(٤)، فالجملة كناية عن تعميم الذكر للأوقات والأحوال.

---

(١) انظر الكشاف ١/٣٣٤.
(٢) التحرر والتنوير ٤/١٩٦.
(٣) تفسير أبي السعود ٢/١٢٧.
(٤) التحرير والتنوير ٤/ ١٦٩.

ومن الإيجاز بالحذف قوله تعالى: (وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ) "فهو متعلق بمحذوف معطوف على الحالين أي: وكائنين على جنوبهم أي مضطجعين، وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبا[١].

قوله تعالى: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا) أي: قائلين ربنا إيجاز بحذف قائلين، عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الإعراب، وإظهار (خلق السماوات والأرض)[٢]. مع كفاية الإضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم والإيذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفضيل[٣].

وقوله: (رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) كلمة (هذا) إشارة إلى (السماوات والأرض) متضمنة لضرب من التعظيم[٤]. ومن الإطناب قوله: (سبحانك) جملة اعتراضية: الغرض منها: تنزيه الله عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه.

ومن الإيجاز بالحذف قوله تعالى: (مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا) «على إرادة القول. أي يقولون ذلك، وهو في محل الحال، بمعنى يتفكرون قائلين»[٥].

جيء بفاء التعقيب في حكاية قولهم: (فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)؛ لأنه ترتب على العلم بأن هذا الخلق حق، ومن جملة الحق ألا يستوي الصالح والطالح، والمطيع والعاصي[٦].

---

(١) تفسير أبي السعود ١٢٩/٢.
(٢) بعد ذكرها في أول الآية.
(٣) تفسير أبي السعود ١٣٠/٢.
(٤) المرجع السابق ١٣٠/٢، انظر الكشاف ٣٥٠/١.
(٥) الكشاف ٣٥٠/١.
(٦) التحرير والتنوير ١٩٧/٤.

وقوله تعالى: (رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ) مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه، وتصدير الجملة بالنداء: للمبالغة في التضرع والجوار، وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة الخوف(١).

ومن وضع المظهر موضع المضمر كلمة (النار)(٢). والغرض من ذلك التهويل والتخويف.

وقوله: (وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ) تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء، ووضع الظالمين موضع ضمير المُدخَلين، لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّا﴾. حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكير في الأدلة العقلية، وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال(٤).

والمراد بالمنادى الرسول ﷺ(٥) و(أنْ) في (آمنوا) تفسيرية لما في فعل ينادي من معنى القول دون حروفه وجاءوا بفاء التعقيب في (فآمنا) للدلالة على المبادرة والسبق إلى الإيمان(٦).

---

(١) تفسير أبي السعود ١٣٢/٢.
(٢) لأنها سبقت في الآية السابقة.
(٣) تفسير أبي السعود ١٣٠/٢.
(٤) المرجع السابق ١٣١/٢.
(٥) الكشاف ٣٥٠/١، تفسير أبي السعود ١٣١/٢.
(٦) التحرير والتنوير.

قال الزمخشري: «ذكر النداء مطلقا، ثم مقيداً بالإيمان، تفخيما لشأن المُنادِى؛ لأنه لا منادى أعظم من مُنادٍ ينادي للإيمان»(١).

(رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ)

ما الفرق بين الذنب والسيئة؟

فالذنب يحتاج إلى غفران، والسيئة تحتاج إلى تكفير، على سبيل المثال "كفارة اليمين" تكون واجبة إذا ما أقسم المؤمن يمينا وحنث فيه، وهذا التكفير هو المقابل للحنث في اليمين.

والذنب هو: الأشياء التي تتعلق بالمعصية بين العبد وربه.

والسيئة هي: الأمر الذي يخالف منهج الله مع عباد الله، فحين تفعل المعصية في أمر بينك وبين الله فأنت لم تسئ إلى الله، فمن أنت أيها الإنسان من منزلة الله؟ لكنك بالمعصية تذنب والذنب تأتي بعده العقوبة، أما مخالفة منهج الله مع عباد الله فهي سيئة؛ لأنك بها تكون قد أسأت.

ونحن نقول في الدعاء كما علمنا: «اللهم ما كان لك منها فاغفره لي، وما كان لعبادك فتحمله عني»(٢).

وقوله: (ربنا) تكرير للتضرع وإظهار لكمال الخضوع وعرضٌ للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به، والفاء في قوله تعالى (فَٱغۡفِرۡ لَنَا) لترتيب المغفرة أو الدعاء بها على الإيمان به تعالى والإقرار بربوبيته فإن ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها(٣).

---

(١) الكشاف ١/ ٣٥٠.
(٢) انظر تفسير الشعراوي ٢٥/ ١٩٧٣.
(٣) تفسير أبي السعود ٢/١٣٢.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

قوله: (وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا) قال في الكشاف: أرادوا طلب التوفيق إلى أسباب ما وعدهم الله على رسله[١] فالكلام مستعمل كناية عن سبب ذلك من التوفيق للأعمال الموعود بها[٢].

وقوله: (إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ) تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء، وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد بل لخوفهم من ألا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل، فمرجعها إلى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة في التعبد والخشوع[٣].

ونجد تنوع الأسلوب الإنشائي بين الأمر، والنهي، والنداء، بغرض الدعاء والاستعطاف فقوله: (فقنا، فاغفر، وكفر، وتوفنا، وآتنا) وقوله (ولا تخزن)، والنداء بالاسم الجليل (ربنا) خمس مرات على سبيل التضرع والاستعطاف وطلب الرحمة والمغفرة والإطناب في قوله: (ربنا) حيث كرر خمس مرات والغرض منه المبالغة في التضرع.

ونجد الطباق بين (السماوات والأرض – والليل والنهار – وقيامًا وقعودًا).

وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه «من حَزَبَهُ أمرٌ فقال: يا رب خمس مرات أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد. وقرأ هذه الآية»[٤].

(١) انظر الكشاف ٣٥١/١.
(٢) التحرير والتنوير ٢٠١/٤.
(٣) تفسير أبي السعود ١٣٢/٢.
(٤) انظر تفسير أبي السعود ١٣٣/٢.

٨ ـ دعاء الذين آمنوا من قوم فرعون:

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

فقولهم لفرعون: أليس الذي تكرهه منا أنَّا آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا؟ وهل الإيمان بآيات الله حين تجيء مما يكره؟ ويسمون ذلك في اللغة تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأن يقول إنسان: ماذا تكره فيّ؟ أصدقي؟ أأمانتي؟ أجودي؟ أعلمي؟ كأن يعدد أشياء يعرف كل الناس واقعاً أنها لا تُكره، لكن الخطأ في مقاييس من يكره الصواب، فهي أمور لا تستحق أن تُكره أو تُعاب أو تُذَم، لقد تيقنوا أن لقاء الله على الإيمان هو الخير، وكلهم يفضل جوار الله على جوار فرعون(١).

قال الزمخشري: «قوله تعالى: (وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا) وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا: وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان(٢).

ومنه قوله:

ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم ** بِهنَّ فُلولٌ من قِراع الكتَائبِ

والفلول انثلامات في حد السيف، والقراع: المضاربة، والكتائب الجماعات، والبيت من تأكيد المدح بما يشبه الذم، أي إن كانت فلول السيف من ذلك عيبا، فأثبته، وهي ليست عيبا فلا عيب فيهم قط، وهو مبالغة في المدح(٣).

وجملة (رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا) من تمام كلامهم، وهي انتقال من خطابهم فرعون إلى التوجه إلى دعاء الله تعالى، ولذلك فصلت عن الجملة التي قبلها، لما بينها من كمال الانقطاع.

---

(١) تفسير الشعراوي ٥٤/ ٤٣٠٦.
(٢) تفسير الكشاف ١١١/٢.
(٣) مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ١١٢/٢.

فالجملة الأولى خيرية، والثانية إنشائية، وهذا مما يوجب الفصل بين الجملتين، ولما كان ذلك الوعيد مما لا تطيقه النفوس سألوا الله أن يجعل لنفوسهم صبرا قويا يفوق المتعارف، فشبه الصبر بماء تشبيه المعقول بالمحسوس على طريقة الاستعارة المكنية، وشبه خلقه في نفوسهم بإفراغ الماء من الإناء على طريقة التخييلية فإن الإفراغ صب جميع ما في الإناء، والمقصود من ذلك: الكناية عن قوة الصبر، لأن إفراغ الإناء يستلزم أنه لم يبق منه شيء مما حواه، فاشتملت هذه الجملة على مكنية وتخيلية وكناية»[١].

قال الفخر الرازي: معنى الإفراغ في اللغة الصب، وأصله: من إفراغ الإناء وهو صب ما فيه حتى يخلو الإناء وهو من الفراغ، فاستعمل في الصبر على التشبه بحال إفراغ الإناء[٢].

ولنتأمل جمال (أفرغ) وما يثيره في النفس من الطمأنينة التي يحس بها من هدأ جسمه بما يُلقى عليه، وهذه الراحة تشبهها تلك الراحة النفسية، ينالها من مُنح هبة الصبر الجميل، ومن الدقة القرآنية في استخدام الألفاظ المستعارة أنه استخدم (أفرغ) وهي توحي باللين والرفق عند حديثه عن الصبر وهو من رحمته[٣].

وكلمة (صَبْرًا) مذكورة بصيغة التنكير، وذلك يدل على الكمال والتمام، أي صبراً كاملاً تاماً»[٤].

❁❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير ٥٦/٩.
(٢) مفاتيح الغيب ٢٤٠/١٣.
(٣) التعبير الفني في القرآن الكريم ٢٠٤.
(٤) مفاتيح الغيب ٢٤٠/١٣.

٩ – الدعاء للوالدين:

قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

أي ألن لهما وتطامن وتعطف عليهما وترحم، وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفا لتقريب الولد لوالديه، فخفض الجناح مجاز عن التواضع، أو تمثيل بتشبيهه بالطائر(١).

وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن يحط للوقوع خفض جناحه يريد الدنو، وكذلك يصنع إذا أراد حضن فراخه، وفي ضمن هذه التمثيلية استعارة مكنية(٢). حيث حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الجناح) على طريق التخييل وهو قرينة الاستعارة المكنية، «وقد شاعت هذه التمثيلية حتى صارت كالمثل في التواضع واللين في المعاملة، وضد ذلك (رفع الجناح) تمثيل للجفاء والشدة»(٣).

(كما ربياني) الكاف في محل النصب على نعت لمصدر محذوف، أي رحمة مثل تربيتهما لي، أو مثل رحمتهما لي، على أن التربية رحمة.

ويجوز أن تكون الكاف للتعليل، أي لأجل تربيتهما لي، فتكون الكاف للتشبيه المجازي؛ أى ارحمهما رحمة تكافئ ما ربياني صغيرا(٤).

---

(١) أيسر التفاسير ٥٩٣/٢، القرطبي ٥٧/١٠، حاشية الشهاب ٣٠٧/٥، تفسير أبي السعود ١٦٦/٥.
(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٨٣.
(٣) المرجع السابق ٨٣/١٤.
(٤) تفسير أبي السعود ١٦٧/٥، التحرير والتنوير ٧٣/١٥ بتصرف.

وخص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحنانا عليهما[١].

هذا وقد كثر الكلام عن هذه الآية، ورووا ما يفهم منه أن أبا تمام قلّد هذا التعبير، فقال:

لا تَسْـــقِني مـــاءَ المَـــلامِ فـــإنّني ∴ صَـــبٌّ قـــد اســـتَعْذَبتُ مـــاءَ بُكـــائِي

يروى أن أحدهم أرسل إليه زجاجة يطلب منه فيها شيئًا من ماء الملام، فقال أبو تمام: حتى تعطيني ريشة من جناح الذل، قيل: فاستحسنوا منه ذلك[٢].

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والمعنى: استمر في الشباب والقوة حتى بلغ أربعين سنة، وهو في نهاية اكتمال العقل والرشد، قال رب ألهمني شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والديّ حتى ربياني صغيرا، ووفقني لكي أعمل عملا صالحاً يرضيك عني، واجعل ذريتي ونسلي صالحين.

قال شيخ زادة: طلب هذا الداعي من الله ثلاثة أشياء: الأول، أن يوفقه الله للشكر على النعمة، والثاني: أن يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عند الله، والثالث: أن يصلح له في ذريته، وهذا كمال السعادة البشرية[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٤/١٠.
(٢) التعبير الفني في القرآن الكريم ٢٠٥.
(٣) انظر صفوة التفاسير ٢٠٢/١٦.

(حَتَّىٰٓ) ومعناها: معنى فاء التفريع على الكلام المتقدم، وإذا كانت حتى لا يفارقها معنى الغاية، ووقوع (إذا) بعد (حتى) ليرتب عليها توقيت ما بعد الغاية من الخبر، أي كانت الغاية وقت بلوغه الأشد.

«والمعنى: حتى يبلغ أشده، أي يستمر على الإحسان إليهما إلى أن يبلغ أشده، فإذا بلغه قال: رب أوزعني، أي طلب العون من الله على زيادة الإحسان إليهما بأن يلهمه الشكر على نعمه عليه وعلى والديه»[١].

ووصينا الإنسان حسنا بوالديه حتى في زمن بلوغه الأشد، أي ألا يفتر عن الإحسان إليهما بكل وجه حتى بالدعاء لهما.

خصه لأنه زمن يكثر فيه الكلف بالسعي للرزق؛ إذ يكون له فيه زوجة وأبناء، وتكثر تكاليف المرأة فيكون لها فيه زوج وبيت وأبناء، فيكون مَظِنَّة أن تشغلهما التكاليف عن تعهد والديهما والإحسان إليهما[٢].

وقوله: (وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ) التنكير للتفخيم والتكثير والتعظيم[٣].

وما ذكر من الدعاء لذريته بقوله: (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ) استطراد في أثناء الوصاية بالدعاء للوالدين، بألا يغفل الإنسان عن التفكير في مستقبله، ليكون له إحسان ذريته إليه مثلما كان منه لأبويه؛ وإصلاح الذرية يشمل إلهامهم الدعاء إلى الوالد.

واللام في (وَأَصْلِحْ لِي) لام العلة، أي أصلح في ذريتي لأجلي ومنفعتي.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٢.
(٢) المرجع السابق ٢٩/ ٣٢ بتصرف.
(٣) تفسير أبي السعود ٨٣/٨، تفسير البيضاوي ٥/ ١١٤.

ومعنى ظرفية (فِي ذُرِّيَّتِيٓ) أن ذريته نزلت منزلة الظرف يستقر فيه ما هو به الإصلاح ويحتوي عليه، وهو يفيد تمكن الإصلاح من الذرية وتغلغله فيهم(١).

قال الزمخشري: معناه أن يجعل ذريته موقعاً للصلاح، ومظنة له، كأنه قال: هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم(٢).

وجملة: (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ) كالتعليل للمطلوب بالدعاء تعليل توسل بصلة الإيمان والإقرار بالنعمة والعبودية، وحرف (إنَّ) للاهتمام بالخبر كما هو ظاهر، وبذلك يستعمل حرف (إنَّ) في مقام التعليل ويغني غناء الفاء، والمراد بالتوبة: الإيمان لأنه توبة من الشرك.

وأسلوب الأمر في قوله (أوزعني – أصلح) الغرض منه الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

والإطناب في قوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ) وقوله: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا) حيث ذكر الخاص بعد العام، فقد ذكر (الوالدين) ثم ذكر (الأم) لزيادة العناية والاهتمام بشأنها ولعظم حقها.

❁❁❁❁❁❁

١٠ – دعاء أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١٠].

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٣٣.
(٢) الكشاف ٤/٢٣٩.

والمعنى: أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين، ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفا على ديننا، وسدادا وصلاحاً ونجاة من أهل الكفر والباطل [١].

و(إِذْ) ظرف يجوز كونه متعلقا بفعل محذوف تقديره: اذكر، فتكون مستأنفة استئنافا بيانيا للجملة التي قبلها [٢].

و(ٱلْفِتْيَةُ) جمع قلة لفتى، وهو الشاب المكتمل[٣]، فلفظ (الفتية) يشعر بأنهم كانوا شبابًا[٤].

«والمراد بالفتية: أصحاب الكهف، وهذا من الإظهار في مقام الإضمار[٥]؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقال: إذ أووا، فعدل عن ذلك لِمَ يَدُلُّ عليه لفظ (الفتية) من كونهم أترابا متقاربي السن[٦]، وذكرهم بهذا الوصف للإيحاء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: إذ أووا إلى الكهف.

ودلت الفاء في جملة (فَقَالُواْ) على أنهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله[٧]، فأفادت السرعة والتعقيب لأنهم لما فروا ممن يطلبهم اشتغلوا بالدعاء ولجؤوا إلى الله تعالى فقالوا: (رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً) أي مغفرة

---

(١) أيسر التفاسير ٦٣٦/٢.
(٢) التحرير والتنوير ٢٦٦/١٥.
(٣) البحر المحيط ١٤٣/٧.
(٤) انظر تفسير أبي السعود ٢٠٦/٥.
(٥) لأن الله تعالى ذكرهم باسمهم في الآية السابقة فقال: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا).
(٦) التحرير والتنوير ٢٦٦/١٥.
(٧) تفسير أبي السعود ٢٠٦/٥.

ورزقا، (وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) توفيقا للرشاد، والمعنى: دعوا الله أن يؤتيهم رحمة من لدنه، وذلك جامع لخير الدنيا والآخرة [١].

وأسلوب الأمر في قوله: (آتنا، وهيئ) الغرض منه التضرع بالدعاء إلى الله.

وزيادة (مِن لَّدُنكَ) للتعلق بفعل الإيتاء، لأن في (من) معنى الابتداء وفي (لدن) معنى العندية والانتساب إليه، فذلك أبلغ مما لو قالوا: آتنا رحمة، لأن الخلق كلهم بمحل الرحمة من الله، لكنهم سألوا رحمة خاصة وافرة[٢].

(رَشَدًا) إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه، وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما، وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المُرْغّبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة، وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى (مِن لَّدُنكَ) على تقدير تعلقه بآتنا.

❁❁❁❁❁❁

١١ – دعاء عباد الرحمن:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامًا ۝٦٦ ﴾ [الفرقان: ٦٥ – ٦٦].

(١) تفسير القرطبي ١٠/٣٦٢.
(٢) انظر التحرير والتنوير ١٥/ ٢٦٧.

دعاؤهم هذا أمارة على شدة مخافتهم الذنوب، فهم يسعون في مرضاة ربهم لينجوا من العذاب، فالمراد بصرف العذاب: إنجاؤهم منه بتيسير العمل الصالح وتوفيره واجتناب السيئات [١].

وهذا الدعاء صادر عن عباد الرحمن، فقد تقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣ – ٦٤].

وقوله: (غَرَامًا) هلاكا وخسرانا ملحاً لازما[٢]، وغلب إطلاقه على الشر المستمر[٣]، ووصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين، ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم[٤].

وقوله تعالى: (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) يجوز أن تكون من كلام الله تعالى فتكون جملة معترضة بين اسمي الموصول (إطناب بالاعتراض) «ويجوز أن تكون حكاية من كلام القائلين، وعلى كل، فهي تعليل لسؤال صرف عذابها عنهم[٥].

وقوله: (سَآءَتۡ) في حكم (بئست) وفيها ضمير مبهم يفسره: مستقرا والمخصوص بالذم محذوف، معناه: ساءت مستقرا ومقاما هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إنَّ وجعلها خبرا لها[٦].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير ١٩/ ٧٠.
(٢) الكشاف ٣/٢٣٠.
(٣) التحرير والتنوير ١٩/ ٧١.
(٤) الكشاف ٣/٢٣٠.
(٥) التحرير والتنوير ١٩/٧١.
(٦) الكشاف ٣/٢٣٠، تفسير أبي السعود ٦/٢٢٨.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عُمَّالا لله، يسرون بمكانهم وتقرُ بهم عيونهم، وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله (١).

وقوله تعالى: (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) كناية عن الفرحة والمسرَّة، أي اجعل لنا في الأزواج والبنين مسرة وفرحا بالتمسك بطاعتك، والعمل بمرضاتك (٢).

(مِنْ أَزْوَٰجِنَا) يحتمل أن تكون (مِنْ) بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بُيِّنتْ القرة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا، ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسدا، أي: أنت أسد، وأن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح.

لم قال (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) فنكَّر وقلَّل؟

أما التنكير فلأجل تنكير القرة، لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قيل: هب لنا منهم سرورا وفرحا.

وقلل الأعين وقيل (أعين) دون عيون، فالأعين صيغة جمع قلة؛ لأن أعين المتقين قليل بالإضافة إلى عيون غيرهم، قال الله تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، ويجوز أن يقال في تنكير (أعين) أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين (٣).

---

(١) الكشاف ٢٣٣/٣.
(٢) صفوة التفاسير ٣٧١/١٠ بتصرف.
(٣) الكشاف ٢٣٣/٣ بتصرف، انظر تفسير أبي السعود ٢٣١/٦.

لماذا وقع الإخبار بـــ (إماما) وهو مفرد عن ضمير جماعة المتكلمين؛ قيل: أراد أئمة، فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، أو أرادوا اجعل كل واحد منا إماما، أو أرادوا اجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا[١].

وقيل: المقصود أن يكون كل واحد منهم إماما يقتدى به، فالكلام على التوزيع، أو أريد من إمام معناه الحقيقي وجرى الكلام على التشبيه البليغ[٢].

❁❁❁❁❁❁❁

١٢ـ الدعاء للمؤمنين ودعائهم:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

المجيء مستعمل للِطُّروِّ والمصير إلى حالة تماثل حالهم، وهي حالة الإسلام، فكأنهم أتوا إلى مكان لإقامتهم، وإنما صيغ (جاءوا) بصيغة الماضي تغليبا لأن من العرب وغيرهم من أسلموا بعد الهجرة.

و(الغل) بكسر الغين: الحسد والبغض؛ أي سألوا الله أن يطهر نفوسهم من الغل والحسد للمؤمنين السابقين على ما أعطوه من فضيلة[٣].

«ذكر تعالى أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان، وهو قوله: (يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي غِشًّا وحَسَدًا وبُغضًا.

---

(١) الكشاف ٢٣٣/٣ بتصرف، تفسير أبي السعود ٢٣١/٦ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير ٨٣/١٩.
(٣) التحرير والتنوير ٩٦/٢٨.

وهذه الآيات قد استوعبت جميع المؤمنين لأنهم: إما المهاجرون أو الأنصار أو الذين جاؤوا من بعدهم، وبين أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار أن يذكر السابقين وهم المهاجرون والأنصار بالدعاء والرحمة ممن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا من جملة أقسام المؤمنين بحسب نص هذه الآية»[١].

❁❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التحريم: ٨].

أمر المؤمنين بالتوبة من الذنوب إذا تلبسوا بها لأن ذلك من إصلاح أنفسهم[٢].

قال الزمخشري: «قوله تعالى: (تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا) وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي[٣].

وقال ابن عاشور: ووصف التوبة بالنصوح مجاز جُعلت التوبة التي لا تردد فيها ولا تخالطها نية العودة إلى العمل المَتُوب منه بمنزلة الناصح لغيره، ففي (نصوح) استعارة، وليس من المجاز العقلي، إذ ليس المراد نصوحا صاحبها[٤].

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٩/٥٠٩.
(٢) التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٦٧.
(٣) الكشاف ٤/٤٥٦.
(٤) التحرير والتنوير ٢٨/٣٦٧.

لماذا لم تلحق وصف (نصوح) هاء التأنيث المناسبة لتأنيث الموصوف به؟

لأن فعولا بمعنى فاعل (أي نصوحًا بمعنى ناصح) يلازم الإفراد والتذكير[١].

والإضافة في إضافة نور إلى ضميرهم (في) (نورهم) مستعملة هنا في لازم معناها وهو اختصاص النور بهم في ذلك اليوم، بحيث يميزه الناس من بين الأنوار يومئذ.

وسعى النور: امتداده وانتشاره، شبه ذلك باشتداد مشي الماشي وذلك أنه يحف بهم حيثما انتقلوا تنويها بشأنهم كما تُنشَرُ الأعلام بين يدي الأمير والقائد[٢].

فقد جعل النور وكأنه صاحب يمشي بسرعة مع صاحبه، ملازما له لا يفارقه فهو معه حيثما ذهب، والاستعارة هنا تصوِّر المنظر للعين وتجعل القارئ يحس بالمعنى.

لماذا خص بالذكر من الجهات الأمام واليمين، في قوله ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾؟ لأن النور إذا كان بين أيديهم تمتعوا بمشاهدته وشعروا بالبهجة والسرور، وشعروا أيضا بأنه كرامة لهم، أما قوله: (وبأيمانهم) لتعظيم هذه الجهة، فهذه الأيدي لها فضل المبالغة للنبي ﷺ على الإيمان والنصر.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ وإتمام النور: إدامته، أو الزيادة منه، ودعاؤهم طلب للزيادة من ذلك النور أو إدامته، وكذلك الدعاء بطلب المغفرة لهم هو بطلب دوام المغفرة.

---

(١) المرجع السابق ٢٨/ ٣٦٧ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير ٢٨/٣٧١.

ويظهر بذلك وجه التذييل بقوله: (إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) المشعر بتعليل الدعاء كناية عن رجاء إجابته لهم(١).

❁❁❁❁❁❁

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢ ﴾ [التحريم: ١١ – ١٢].

لما ضرب المثل للذين كفروا في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ.. إلخ﴾ [التحريم: ١٠].

أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة فيتضح مقصود المثلين معا وجريا على عادة القرآن في اتباع الترهيب بالترغيب، وجعل المثل للذين آمنوا بحال امرأتين لتحصل المقابلة للمثلين السابقين فهذا من مراعاة النظير في المثلين، وجاء أحد المثلين للذين آمنوا مثلا لإخلاص الإيمان، والمثل الثاني لشدة التقوى فكانت امرأة فرعون مثلا لمتانة إيمان المؤمنين ومريم مثلا للقانتين(٢). وامرأة فرعون: آسية بنت مزاحم.

وقوله تعالى: (رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ)، ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة؟

(١) التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٧١.
(٢) التحرير والتنوير ٢٨/٣٧٦ – ٣٧٧.

طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه، ثم بينت مكان القرب بقولها (في الجنة)، أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى، فعبرت عن القرب إلى العرش بقولها (عندك)[١] فعندك كناية عن القرب.

وقوله (مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ) من عمل فرعون وخصوصا: الكفر، وعبادة الأصنام، والظلم، والتعذيب.

(وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ) من القبط كلهم، وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليهم، ومسألة الخلاص عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين[٢].

وأفعال الأمر (ابن – ونجني – ونجني) الغرض منها الدعاء والتضرع إلى الله، والعطف أيضا بين الجمل لأن بينهما اتفاق في الإنشائية لفظا ومعنى والمناسبة بينهما ظاهرة.

قال ابن عاشور: «أرادت بعمل فرعون ظلمه، أي نجني من تبعة أعماله، فيكون معنى (نجني من فرعون) من صحبته، طلبت لنفسها فرجاً وهو من عطف الخاص على العام[٣].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) الكشاف ٤/ ٤٥٨ – ٤٥٩ بتصرف.
(٢) الكشاف ٤/٤٥٩ بتصرف.
(٣) التحرير والتنوير ٢٨/ ٣٧٧.

١٣ـ سورة الفلق:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق: ١ – ٥].

قوله: (قُلْ) تكون صيغ الأمر الموجهة إلى المخاطب مستعملة في معنيي الخطاب من توجهه إلى مُعَيَّن وهو الأصل ومن إرادة كل من يصح خطابُهُ وهو طريق من طرق الخطاب تدل على قصده القرائن، فيكون من استعمال المشترك في معنييه.

واستعمال صيغة التكلم في فعل (أَعُوذُ) يتبع ما يراد بصيغة الخطاب في فعل (قُلْ) فهو مأمور به لكل من يريد التعوذ بها.

وأما تعويذ قارئها غيره بها كما ورد أن النبي ﷺ كان يعوذ بالمعوذتين الحسن والحسين.

والْعَوْذُ: اللَّجأُ إلى شيءٍ يقي من يلجأُ إليه ما يَخَافُهُ [١].

والفلق: الصبح، لأن الليل يفلق عنه ويفرق، وهو فعل بمعنى مفعول، وقيل: هو كل ما يفلقه الله؛ كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر وغير ذلك[٢].

والفلق: الصبح؛ وهو فعل بمعنى مفعول مثل العمد، لأن الليل شُبِّهَ بشيءٍ مغلق يَنْغَلِقُ عن الصبح، وحقيقة الفلق: الإشاق عن باطن شيء، واستعير

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٢٥.
(٢) الكشاف ٦٥٥/٤ بتصرف، البحر المحيط ٥٧٥/١٠، تفسير ابن عطية ٥٣٨/٥ بتصرف.

لظهور الصبح بعد ظلمة الليل، وهذا مثل استعارة الإخراج لظهور النور بعد الظلام في قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ [النازعات: ٢٩].

واستعارة السَّلْخ له في قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧].

ورب الفلق: هو الله، لأنه الذي خلق أسباب ظهور الصبح.

والمعنى: أعوذ بفالق الصبح مَنْجَاة من شرور الليل، فإنه قادر على أن ينجيني في الليل من الشر كما أَنْجَى أهل الأرض كلهم بأن خلق لهم الصبح، فوصف الله بالصفة التي فيها تمهيد للإجابة(١).

(مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) عام في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد(٢).

الجواب: هو إطناب من ذكر الخاص بعد العام، تَنْبيهًا على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشرِّ.

وقوله تعالى: (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ).

عطف أشياء خاصة هي مما شمله عموم (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) الفلق؟ وهي ثلاثة أنواع من أنواع الشرور.

أحدها: وقت يَغْلِبُ وقوع الشر فيه وهو الليل.

والثاني: صنفٌ من الناس أقيمت صناعتهم على إرادة الشر بالغير.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٦٢٦.
(٢) تفسير الفخر الرازي ٣٢/٣٧٥.

والثالث: صنف من الناس ذو خلق من شأنه أن يبعث على إلحاق الأذى بمن تعلق به.

وأعيدت كلمة (من شر) بعد حرف العطف في هذه الجملة وفي الجملتين المعطوفتين عليها من أن حرف العطف مُغْنٍ عن إعادة العامل قصدًا لتأكيد الدعاء تعرُّضًا للإجابة، وهذا من الابتهال[١] فيناسبه الإطناب بالتكرار.

والغاسق: الليل، ووقب: أظلم ودخل على الناس.

قال ابن عاشور:

والغاسق: وصف الليل إذا اشتدت ظلمته، يقال: غسق الليل يغسق، إذا أظلم، قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، فالغاسق: صفة لموصوف محذوف لظهوره من معنى وصفه مثل (الجواري) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الشورى: ٣٢]، وتنكير (غاسق) في مقام الدعاء يراد به العموم لأن مقام الدعاء يناسب التعميم.

وإضافة الشر إلى غاسق من إضافة الاسم إلى زمانه على معنى (في) كقوله تعالى: ﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣][٢].

فقد أسند (الشر) إلى الليل، والليل ليس هو الفاعل في حقيقة الأمر بل زمن لوقوع الشر فيه، فإسناد الشر إلى الليل مجاز عقلي علاقته الزمانية.

«والليل تكثر فيه حوادث السوء من اللصوص والسباع وغيرهم، وتقييد ذلك بظرف (إذا وقب) أي إذا اشتدت ظلمته؛ لأن ذلك وقت يتحيَّنُه الشُطَّار

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٢٧.
(٢) المرجع السابق ٣٠/ ٦٢٨.

وأصحاب الدعارة والمعاصي وغيرهم؛ لتحقق غلبة الغفلة والنوم على الناس فيه، وخص بالتعوذ أشد أوقات الليل توقعا لحصول المكروه».

قوله تعالى: (وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ) [الفلق: ٤].

هذا النوع الثاني من الأنواع الخاصة المعطوفة على العام من قوله: (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) [الفلق: ٢]، وعطف شر النفاثات في العقد على شر الليل لأن الليل وقت يتحين فيه السحرة إجراء شعوذتهم لئلا يطلع عليهم أحد(١).

«(النفاثات) النساء، أو النفوس، أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها، والنفث: النفخ من ريق يفعله السحرة»(٢).

والمراد بـــ (ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ): النساء الساحرات، وإنما جيء بصفة المؤنث لأن الغالب عند العرب أن يتعاطى السحر النساء.

لم جعلت الاستعاذة من النفاثات لا من النفث، فلم يقل: إذا نفثن في العُقد؟.

للإشارة إلى أن نفثهن في العقد ليس بشيء يجلب ضرًا بذاته وإنما يجلب الضُّرَّ النافثاتُ وهن متعاطياتُ السحر، لأن الساحر، ربما وضع للمسحور في طعامه أو شرابه عناصر مفسدة للعقل أو مهلكة له(٣).

(وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) [الفلق: ٥].

عطف شر الحاسد على شر الساحر المعطوف على شر الليل لمناسبة بينه وبين المعطوف عليه مباشرة وبينه وبين المعطوف عليه بواسطته، فإن مما يدعو

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٢٨.
(٢) الكشاف ٤/٦٥٦.
(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٢٩ بتصرف.

الحاسد إلى أذى المحسود أن يتطلب حصول أداة لِتوهُّم أن السحر يزيل النعمة التي حسده عليها.

ولأن ثوران وجدان الجسد يكثر في وقت الليل، لأن الليل وقت الخلوة وخُطُور الخواطر النفسية والتفكر في الأحوال الحافة بالحاسد وبالمحسود.

والحسد: إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة في الغير مع تمني زوالها عنه لأجل غَيْرَةٍ على اختصاص الغير بتلك الحالة أو على مشاركته الحاسد فيها، وقد يطلب اسم الحسد على الغبطة مجازا.

والغبطةُ: تمني المرء أن يكون له من الخير مثل ما لمن يروق حاله في نظره.

وتقييد الاستعاذة من شره بوقت: (إذا حسد) لأنه حينئذ يندفع إلى عمل الشر بالمحسود حين يجيشُ الحسد في نفسه فتتحرك له الحيل والنوايا لإلحاق الضُّرِّ به.

والمراد من الحسد في قوله: إذا حسد حسدا خاصا وهو البالغ أشد حقيقته، فلا إشكال في تقييد الحسد بـــ حسد[١].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٣٠.

١٤ – سورة الناس:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [الناس: ١ – ٦].

شابهت فاتحتها فاتحة سورة الفلق إلا أن سورة الفلق تعَوُّذُ من شرور المخلوقات من حيوان وناس، وسورة الناس تعوُّذُ من مخلوقات خفية وهي الشياطين(١).

وقوله تعالى: (مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ) عطف بيان(٢)، توصف أولا بأنه رب الدار، ورب المتاع، فلا جرم بَيَّنَهُ بقوله: (مَلِكِ ٱلنَّاسِ) ثم الملك قد يكون إلها وقد لا يكون فلا جرم بَيَّنَهُ بقوله: إله الناس؛ لأن الإله خاص به وهو سبحانه لا يشركه فيه غيره(٣).

والسبب في تكرير لفظ الناس دون اكتفاء بضميره لأن عطف البيان يقتضي الإظهار ليكون الاسم المُبَيِّنُ (بكسر الباء) مستقلا بنفسه لأن عطف البيان بمنزلة عَلَمِ للاسم المُبَيَّنِ بالفتح(٤).

ولأن هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس؛ لأنه سبحانه كأنه عرف ذاته بكونه ربا للناس، ملكا للناس، إلها للناس، ولولا أن الناس أشرف مخلوقاته، وإلا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربا وملكا وإلها لهم(٥).

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٦٣٢.
(٢) الكشاف ٦٥٨/٤.
(٣) تفسير الفخر الرازي ٣٢/ ٣٧٦.
(٤) التحرير والتنوير ٦٣٢/٣٠. انظر الكشاف ٦٥٨/٤.
(٥) تفسير الفخر الرازي ٣٢/ ٣٧٦.

والناس: اسم جمع للبشر جميعهم أو طائفة منهم، ولا يطلق على غيرهم على التحقيق.

والوسواس: المتكلم بالوسوسة، وهي الكلام الخفي.

فالوسواس: اسم فاعل ويطلق الوسواس بفتح الواو مجازًا على ما يخطرُ بنفس المرء من الخواطر التي يَتوهَّمُهَا.

وإطلاق (الوسواس) على معنييه المجازي والحقيقي يشمل الشياطين التي تُلْقِي في أنْفُس الناس الخواطر الشريرة.

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ ﴾ [طه: ١٢٠]، ويشمل (الوسواس) كل من يتكلم كلاما خفيا من الناس وهم أصحاب المكائد والمؤامرات(١).

قال الزمخشري:

«الوسواس اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال، والمراد به الشيطان سُمِّي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه(٢).

الخناس: الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر(٣).

والخناس: الشديد الخنس والكثيرة، والمراد: أنه صار عادة له، والخنس والخنوس: الاختفاء.

---

(١) التحرير والتنوير ٦٣٣/٣٠.
(٢) الكشاف ٦٥٨/٤. انظر البحر المحيط ٥٧٩/١٠.
(٣) تفسير الفخر الرازي ٦٧٧/٣٢، الكشاف ٦٥٨/٤.

ووصف (الوسواس الخناس) بـــ (الذي يوسوس في صدور الناس)، لتقريب تصوير الوسوسة كي يتقيها المرء إذا اعْتَرَتْهُ لخفائها، وذلك بأن بين أن مكان إلقاء الوسوسة هو صدور الناس وبواطنهم فعبر بها عن الإحساس بالنفس.

فوسوسة الشياطين: اتصالات جاذبية النفوس نحو داعية الشياطين.

وإطلاق فعل (يوسوس) على هذا العمل الشيطاني مجازٌ؛ إذ ليس للشيطان كلام في باطن الإنسان، وأما إطلاقه على تسويل الإنسان لغيره عمل السوء فهو حقيقةٌ.

وتعلق المجرور من قوله: (فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ) بفعل (يوسوس) بالنسبة لوسوسة الشيطان تعلق حقيقيٍّ، وأما بالنسبة لوسوسة الناس فهو مجاز عقليٌّ؛ لأن وسوسة الناس سبب لوقوع أثرها في الصدور؛ فكان في كُلٍّ من فعل يوسوس ومتعلقه استعمال اللفظين في الحقيقة والمجاز(١).

وقوله تعالى: (مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) كأنه يقول الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس(٢).

(ومن) في قوله: (من الجنة والناس) بيانيَّة، بينت الذي يوسوس في صدور الناس بأنه جنس ينحل باعتبار إرادة حقيقته، ومجازه إلى صنفين؛ صنف من الجِنَّةِ وهو أصله، وصنف من الناس وما هو إلا تبع وولي للصنف الأول.

ووجه الحاجة إلى هذا البيان خفاء ما يَنْجَرُّ من وسوسة نوع الإنسان؛ لأنه لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين وهو وسوسة

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٦٣٤.
(٢) الفخر الرازي ٣٢/ ٣٧٧.

أهل نوعهم وهو أشد خطرا وهم بالتعوذ منهم أجدر، لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في رسائل الضُّرّ أدخل وأقدر.

وقدم (الجنَّةِ) على (الناس) لأنهم أصل الوسواس[١].

ولما كانت مضرة الدين، وهي آفة الوسوسة، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاثة (الرب والملك والإله) وإن اتحد المطلوب وفى الاستعاذة من ثلاث (الغاسق والنفاثات والحاسد) بصفة واحدة وهي الرب، وإن تَكَثَّرَ الذي يُستْعَاذُ منه[٢].

ما السبب في تكرير لفظ الناس؟

تكرير كلمة (الناس) في هذه الآيات المرتين الأوليين باعتبار معنى واحد إظهار في مقام الإضمار لقصد تأكيد ربوبية الله تعالى ومِلْكِهِ وإِلَهِيَّتِهِ للناس كُلِّهِمْ.

وأما تكريره المرة الثالثة بقوله: في صدور الناس فهو إِظْهَارٌ لأَجْلِ بُعْدِ الْمَعَادِ.

وأما تكريره المرة الرابعة بقوله: (مِنَ ٱلْجِنَّـةِ وَٱلنَّـاسِ) فلأنه بيان لأحد صنفي الذي يوسوس في صدور الناس[٣].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٦٣٤ – ٦٣٥.
(٢) البحر المحيط ١٠/٥٦٥.
(٣) التحرير والتنوير ٣٠/٦٣٥.

الخـــاتمـــة

مما سبق تستطيع أن نتبين أهمية الدعاء للإنسان المؤمن، فالدعاء مفتاح السماء الذي يستمطر به المؤمن رحمة ربه، ويستنزل به نصره، ويستجلب به مدده، ويبتغي به رضوانه.

وقد وجدنا أن الدعاء في القرآن الكريم جاء في موضعه كاشفا عن أسراره البلاغية، فقد تعددت أساليب الدعاء، فتارة تأتي بأسلوب القصر، وتارة أخرى تأتي بالتوكيدات للمبالغة وللتأكيد على قضايا معينة، ومن تنوع الأساليب في الدعاء ما جاءت فيه الجمل من خبرية، وإنشائية، للحث على الدعاء والترغيب فيه، والتضرع إلى الله.

وجاء فيه أيضا على حسب المقام في الموضوع والمعنى، التنكير والتعريف، والفصل والوصل، والإطناب والإيجاز والإظهار في مقام الإضمار، والاستعارة والكناية... إلخ من الفنون البلاغية التي تبرز الإعجاز البلاغي في التراكيب والتصوير، وتزيين المعنى واللفظ، وهذه من براعة النظم القرآني.

وفي الختام... فإن أصدق الدعاء الإخلاص فيه، فهو الحصن الحصين الذي نأنس فيه قرب الرب ونتذوق حلاوة مناجاته، وما أجمل أن ننهي هذا البحث بكلمة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، حيث يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

❁❁❁❁❁❁❁

المصـــادر والمراجـــع

القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ط دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للعلامة أبي السعود، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، لأبي بكر جابر الجزائري، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ط صبيح، ١٣١٢هـ.

٥- البحر المحيط، لأبي حيان، ط دار الفكر، سنة ١٣٩٨هـ.

٦- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، للشيخ عبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية.

٧- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م.

٨- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ط دار الشروق.

٩- التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أحمد، ط دار الشروق.

١٠- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط الأولى ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١- تفسير الشعراوي، خواطر فضيلة الشيخ محمد الشعراوي، ط دار أخبار اليوم.

١٢- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣- جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ط الأولى ١٣٢٧هـ، المطبعة الأميرية، بولاق.

١٤- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٥- حاشية الدسوقي على مختصر السعد ضمن شروح التلخيص، ط دار السرور، بيروت – لبنان.

١٦- دعاء السر، للشيخ محمد محمود الصواف، دار العميد للثقافة والنشر، ط٣.

١٧- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير بالرياض.

١٨- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الرشيد، سوريا، حلب.

١٩- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، ط دار السرور، بيروت، لبنان.

٢٠- علم البيان، د/ عبد الفتاح لاشين، طبعة دار المعارف، ١٩٩٥م.

٢١- الكشاف، للإمام الزمخشري، ط الثانية، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.

٢٢- الكلم الطيب في الأذكار المأثورة، لتقي الدين بن تيمية، دار الخالدين للنشر والتوزيع.

٢٣- المحرر الوجيز، لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٤- مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط السابعة، ١٤٢٠ – ١٩٨١م.

٢٥- مفاتيح الغيب، للرازي، ط دار الغد العربي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢٦- مفتاح العلوم للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

٢٧- معاني التراكيب، د/ عبدالفتاح لاشين، ط دار الكتاب الجامعي.

٢٨- مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص، ط دار السرور، بيروت، لبنان.

محتويات البحث

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥٤٧٥
٢	التمهيد	٥٤٧٧
٣	الفصل الأول (فضل الدعاء)	٥٤٧٨
٤	١ – تعريف الدعاء	٥٤٧٨
٥	٢ – الحث على الدعاء	٥٤٧٨
٦	٣ – كيفية الدعاء	٥٥٠٩
٧	الفصل الثاني (المأثور من الدعاء)	٥٥١٦
٨	١ – دعاء سورة الفاتحة	٥٥١٦
٩	٢ – الدعاء عند الفراغ من أعمال الحج	٥٥٢٣
١٠	٣ – خواتيم سورة البقرة	٥٥٢٧
١١	٤ – الراسخون في العلم	٥٥٣٣
١٢	٥ – دعاء الأتقياء من الناس	٥٥٣٦
١٣	٦ – دعاء أتباع الرسل والأنبياء	٥٥٣٩
١٤	٧ – دعاء أولي الألباب	٥٥٤٢
١٥	٨ – دعاء الذين آمنوا من قوم فرعون	٥٥٤٨
١٦	٩ – الدعاء للوالدين	٥٥٥٠

١٧	١٠ – دعاء أهل الكهف	٥٥٥٣
١٨	١١ – دعاء عباد الرحمن	٥٥٥٥
١٩	١٢ – الدعاء للمؤمنين ودعائهم	٥٥٥٨
٢٠	١٣ – سورة الفلق	٥٥٦٣
٢١	١٤ – سورة الناس	٥٥٦٨
٢٢	الخاتمة	٥٥٧٢
٢٣	فهرس المصادر والمراجع	٥٥٧٣
٢٤	فهرس الموضوعات	٥٥٧٦